# عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 108 / 1 كانون الثاني 2018

مدينة دير الزور
خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

الافتتاحية

# ديرالزور 2018... صفر في مقام الحرب

تدخل دير الزور عامها الجديد، متحلّلة من الخيارات الصفرية التي سادت العام الماضي، لكنّها لا تملك أيّ احتمال مكتمل القيمة.

بنسبة دمار، يقرّ البنك الدولي أنّها الأعلى في سوريا، تخطو المدينة بريبة نحو استعادة مؤشرات خافتة للحياة، في واقع قسمة غير مسبوقة للمحافظة الشاسعة، وحدود لم تكن لتخطر على بال أحد من سكانها.

انتقلت دير الزور برمّتها من أصفار الاستراتيجية التي جعلتها خاتمة الحرب على داعش، وموقع استثمار النظام لما بقي من قوته الهزيلة، إزاء تنظيم إرهابي منهك تحت وطأة ضربات تحالف دولي لم يعر بالاً للكتلة البشرية الكبرى، التي دفعت ثمناً باهظاً تحت سطوة داعش المتوحشة، وتركها في حسبة الحصص لميليشيات النهب والترويع الإيرانية.

لا تستقر قسمة ديرالزور على الجغرافيا وحدها، ثمّة انشطارات بشرية واجتماعية واقتصادية، اختيرت على حدّ حوّل مقدّس المكان إلى نهر عابر بين شطري سوء الحظ والمصير.

بين ماحازه الأسد ولا يمكنه إعادة إعماره، وما حازته قوات سوريا الديموقراطية، وتريد تغيير شرط استقراره العتيق، ليناسب تركيبتها المتحكّمة؛ سقطت الحرب إلى قاع سينقل قسمة البشر، والشاميّة القاحلة في ضفة، والخواء والجزيرة الخصبة في أخرى، إلى عدم تعيين لا إجابة بادية له، سوى حرب جديدة حول جدار الفرات.

وليس المشهد في دير الزور وحيداً في ما يحمله العام الجديد من احتمالات متضاربة ومفتوحة، بل إنّ سوريا كلها تقع تحت هذا الشرط، فالنظام يواصل زحفه لقضم الأرض، وبينما هو يتحضر لإطلاق مذبحة كبرى جديدة في إدلب، قد تدفع مئات الآلاف من المدنيين إلى مجهول المنافي والتشرد، فإنّ توقع رد فعل مغاير دولياً لما حدث، على مدى سنوات الثورة، سيكون ضرباً من التفاؤل في غير محله، إذ أن في الغوطة ما يكفي من أدلة.

المفارقة أنّ سوريا ماتزال مركز سردية «الانتصار» الروسية - الإيرانية المزعومة، في تناف وتضاد مع واقع يسوق ذات الاحتمالات إلى الشرق الأوسط برمته، مع اندلاع احتجاجات المدن الإيرانية، التي مازال من المبكر الحكم على نتائجها، وإن كانت تقود في جوهرها إلى كشف التناقض بين مزاعم السلطة، وحقيقة ما يريد الشعب في إيران.


3 أسواق الريف في الجورة والقصور

4 النظام الفاشل لن يعيد الحياة إلى سابق عهدها في دير الزور

5 أين اختفى التنظيم؟

9 مقاهي نازحي دير الزور في مدينة الباب

10 حكايا سوريات تزوجن ب«مهاجرين»

12 على هامش الحرب.. مرضى ومجانين في شوارع دمشق

17-16 النسوية الديرية: من الحبابة إلى العباية الحبر فالجلباب

19 بروين إبراهيم ومجد نيازي وحزباهما «المعارضان»

جنود روس في حي القصور - خاص

# أسواق الريف في الجورة والقصور

شعبان محمد

لم يكن انصراف الكثيرين في الجزء المأهول من أحياء مدينة دير الزور عن أداء صلاة الاستسقاء التي دعا إليها «السيد الرئيس»، حسب ما قال خطيب الجمعة، احتجاجاً أو مقاطعة للدعوة، إنما لامبالاة محضة تجاه قضية يعد الاهتمام بها من شؤون البشر الطبيعيين، ولم يعد أحد في دير الزور، بعد كل هذه السنوات، وهذه الخاتمة، يحسب نفسه في عدادهم.

أثناء الخطبة التي ربطت التقوى بالمطر نصح الخطيب بأن «يجتنب أكل الحرام من السوق»، في نهي غير صريح وشجاع في الوقت ذاته، عن شراء ما يعرضه جنود النظام والميليشيات التابعة له من بضائع سرقوها من القرى والبلدات المهجر أهلها في الريف. تعددت الآراء بين من استساغ ذلك «بذريعة أننا أولى بهذه البضائع الرخيصة من سكان اللاذقية وطرطوس وحمص»، ومن رفض ذلك لأن شرائها حرام.

في أسواق «التعفيش»، التي امتدت من شارع الوادي على أطراف حي الجورة إلى الشوارع الرئيسية في حي القصور، يميّز بين ثلاثة مستويات للمسروقات، وثلاثة انتماءات للصوص؛ المستوى الأول للبضائع الثقيلة، سيارات، جرارات، حبوب بكميات كبيرة، غرف نوم واستقبال فخمة، وغير ذلك مما يعرضه قادة وعناصر من تابعي سهيل الحسن فيما يعرف بميليشيا (النمر). والمستوى الثاني للبضائع المتوسطة، برادات وغسالات، وأحياناً رؤوس ماشية مفردة من بقر وأغنام، وعدد زراعية وغيرها لميليشيا (لواء القدس) الفلسطيني وأجهزة المخابرات، وأما المستوى الثالث فهو للبضائع الخفيفة، سجاد وأغطية وأواني مطبخ ودراجات ودجاج وحمام، وغير ذلك مما يعرضه جنود جيش النظام وعناصر ميليشيا (الدفاع الوطني). تعقد الصفقات بجانب السيارات الشاحنة التي تحمل المسروقات دون جدال طويل على الأسعار، ويشعر الطرفان -البائع والمشتري- بالفوز.

يقول أحمد (اسم وهمي) أنه يفرز معارضي النظام في مدينة دير الزور عن مؤيديه من خلال موقفهم من المسروقات، ويرى علامات «الدناءة والخسة بوجه كل واحد يشتري شي يعرف زين أنه منهوب». مثل عشرات الآلاف غيره تحمّل أحمد ظروف الحصار الرهيبة الذي فرضه تنظيم داعش على الجزء الخاضع لسيطرة النظام، ورغم هذا ما يزال محتفظ بموقفه المعارض للنظام بعده «أصل البلاء» كما يقول. ويتذكر أيام الحصار انتظار إسقاط مظلات الأغذية، والصراع على ما تحمله على الأرض، وكيف ينثر الطحين من الأكياس الممزقة، أو يسفك الزيت من عبواته ويسحب بالإسفنج من التراب.

يضيف الجنود الروس بعداً آخر للمشهد في دير الزور اليوم، خاصة حين تلوذ سياراتهم في شوارع فرعية لتعرض معلبات وأرز وسكر وعبوات زيت، جمعوها أو سرقوها من مخصصات وحداتهم الغذائية. يفضل الناس الشراء منهم لجودة ورخص أثمان بضاعتهم. وفي مقهى مفتتح من حديقة منزل اعتادوا أن يستريحوا فيه اقترب طفل من أحدهم يسأله «أنت شيشاني؟» فيهز الجندي رأسه مبتسماً، ويبدو صاحب المقهى مسروراً بزبائنه هؤلاء، لأنهم «أرحم من غيرهم» كما يقول في تلميح جريء وغير معتاد في دير الزور اليوم، لقسوة وهمجية الآخرين.

قبل أيام دهست سيارة ل(لواء القدس) امرأة، وأكملت طريقها دون أن تتوقف ولو للحظة، لم يحاول أحد إيقاف السيارة أو اللحاق بها مروءةً كما في السابق، بل لم يصرخ أحد بالشتيمة محتجاً، واكتفى المارة بإسعاف الضحية صامتين. تغيرت نبرات الصوت، ودخلت مفردات كثيرة إلى قاموس اللغة اليومية، وغابت مفردات أخرى، وتغيرت ملامح الوجوه، وبدا الناس أكبر من أعمارهم الحقيقية بسبب الجوع والرعب خلال السنوات السابقة، ومع الاستباحة الكاملة فقدت حتى نظراتهم جسارتها. «ذل عيشة ذل ومهانة» يقول أحمد «احنا مو الدير، وما ظل شي كثير منها بينا، الدير بالناس اللي قالت لا وظلت تقول»، يمثل أحمد قلة قليلة جداً ظلت تربط مأساة دير الزور بإطارها السوري الأوسع، في حين غرقت الأغلبية بالعالم الضيق الذي أحيطت به المناطق الخاضعة لسيطرة النظام في المدينة، وفيه انحصرت شواغل الناس بالإفلات من الموت جوعاً، وتحاشي شرور عناصر الأمن والميليشيات، تصالحاً معها، أو تجنبها وتحملها بأي شكل كان.

مدينة دير الزور – خاص

# النظام الفاشل لن يعيد الحياة إلى سابق عهدها في دير الزور

علي برهان

في الجزء الخاضع لسيطرة النظام في دير الزور تتضارب الشائعات المتداولة، بين التفاؤل الساذج إلى درجة أن الصين ستتدخل بإعادة إعمار دير الزور، و«تبني بدل الدير المدمرة دير جديدة على طريق الشام»، والتشاؤم القائم على ما يعاينه الناس في المدينة كل يوم.

في الشهر الأخير كثف وزراء النظام زياراتهم لمحافظة دير الزور بغرض الاطلاع على احتياجاتها، وإعداد الخطط لتشغيل الخدمات الأساسية، والبدء بصيانة البنى التحتية، وإطلاق عملية التعليم، حسب ما قالت وسائل إعلام النظام. نتيجة لهذا الزيارات صدرت قرارات من معظم هذه الوزارات، تقضي بفك ارتباط الموظفين النازحين من أبناء دير الزور بدوائر بديلة في مدن النزوح، والتحاقهم بوظائفهم الأصلية في المحافظة. أثار القرار تذمراً واسعاً في أوساط الموظفين النازحين، لعجزهم في حال عودتهم عن تأمين مساكن في المدينة، التي تزيد نسبة الدمار الكلية فيها عن 90%، وفق تقديرات المحافظ على تلفزيون النظام. حتى الآن ما تزال الشوارع الرئيسية والفرعية، في أحياء الحميدية والعمال والجبيلة والموظفين والعرفي والصناعة والمطار القديم والشيخ ياسين والعرضي والكنامات وخسارات والحويقة ومعظم الرشدية، مغلقة تقريباً، بسبب الركام الناجم عن تدمير الأبنية المطلة على هذه الشوارع. ولم تفتح بعد إلا الشوارع الرئيسية بين الأحياء. وتلحق بشبكة أنابيب مياه الشرب ونقل التيار الكهربائي والصرف الصحي أضرار متفاوتة، لكنها جميعاً خارج الخدمة الآن. وإلى جانب المنازل دمرت أيضاً معظم الأبنية والمنشآت العامة في هذه الأحياء التي تستحيل العودة إليها جزئياً الآن، وتستحيل كذلك حتى لو سخر النظام كل إمكانياته، و«عمل فيها ليل نهار، لعام كامل على الأقل» حسب ما يقدر مهندس مدني سابق في بلدية المدينة.

يتساءل موظف عائد من دمشق عن المكان الذي تستطيع فيه المؤسسات استقبال آلاف، وربما عشرات الآلاف، من موظفيها العائدين «كل دائرة قاعدة بغرفتين وصالون بالجورة أو بالقصور، يا دوب تكفي المدير ومعاونه وسكرتيره وذاتيته» وحتى لو استطاعت -يكمل الموظف- فأين سيسكن العائد عائلته؟ ولو سكن فوق أنقاض منزله المدمر، فإلى أي مدرسة، وفي أي مشفى، يداوم ويعالج أولاده؟ في قطاع الصحة تعمل اليوم بشكل جزئي «مشفى الأسد»، وتقدم المشفى العسكري خدماتها لبعض الحالات، فيما تقدم المشفى، أو المركز الطبي الذي افتتحه الإيرانيون في حي القصور، الخدمات الصحية الأفضل في دير الزور، ودون أن ينجح بالطبع بسد العجز المزمن في هذا القطاع. الآن وقبل عودة النازحين في دمشق والمحافظات الأخرى، ومع عدد سكان حول المئة ألف نسمة في حيي الجورة والقصور وملحقاتهما، تعجز المدارس عن استيعاب جميع الطلاب، رغم تقسيمهم على فوجين، وزاد عدد الطلاب في بعض المدارس على (100) طالب في الصف أو الغرفة الصفية الواحدة.

في المساحة الضيقة التي يشغلها الحيان يندر العثور على منزل فارغ للإيجار، وإن عثر عليه فسيكون بمبالغ مرتفعة، لا طاقة لأغلبية العائدين المفترضين على تحملها. وتضيف تكاليف خدمات الكهرباء المأجورة (نظام الآمبير) وارتفاع أسعار السلع الضرورية أعباء إضافية عليهم، وقبل هذا كله تأتي حالة الانفلات الأمني لعناصر الميليشيات، وعناصر وجنود أجهزة أمن النظام وجيشه، لتجعل العيش في الجورة والقصور أمراً لا يطاق بالنسبة لعوائل العائدين المحتملين.

على هذه الحال يبدو ما يقوم به النظام، وما يعد به، لتشغيل قريب للخدمات العامة ضرب من الحماقة والكذب، في سعيه لتقديم صورة دعائية عن قدراته في إعادة عجلة الحياة إلى طبيعتها، يقول من خلالها لقد انتهى كل شيء لصالحي، ويبدو محاولة، إلى جانب محاولات أخرى، لترسيخ سلطة ستظل مزعزعة، ولن ترسخها سيطرته العسكرية، والأمنية الناقصة بدورها، بذهاب نصف المحافظة إلى سيطرة «قسد» بحماية أمريكية على الضفة اليسرى لنهر الفرات.

# أين اختفى التنظيم

في النصف الثاني من 2014، بعد أن أزال الحدود بين العراق وسوريا، وأعلن خلافته، اقتطع تنظيم «الدولة الإسلامية» الجزء الحدودي من محافظة دير الزور ابتداءً من صالحية البوكمال، وضم إليها أجزاءً من محافظة الأنبار ليعلنها ولاية الفرات، ويعيّن «أبو أنس العراقي» والياً عليها، الذي لم ينتظر كثيراً ليدعو الراعي حميّد من عشيرة الجغايفة على الطرف السوري من الحدود لزيارته.

نشوان الصالح

حميد الذي رفض بادئ الأمر قبول الدعوة، حضرَ تحت إصرار أبو أنس إلى مضافة الوالي، وفرد كيس تبغه، ولف سيجارةً، ودخنها على مرأى ومسمع حاشية أبو أنس، الذي تبسم ومنع الجميع من اعتراضه قائلاً: «لقد دعوت الله أن يخلصك من هذه الخطيئة منذ عام 2008»، فرد حميّد بثقة: «يبدو أن دعوتك لم تكن صادقة، أو أن دينك منقوص». ضحك أبو أنس، وأولم له، وروى للحاضرين قصة التنظيم والراعي حميّد.

في العام 2008 استطاعت حكومة المالكي مدعومةً بالصحوات والقوات الأمريكية طرد (تنظيم الدولة الإسلامية في العراق) من المناطق التي انتشر فيها، لكنها وقفت عند حدود المدن والقرى والبلدات، حتى أن بعض الأخبار تقول أن أوامر منعت الجيش والصحوات من التقدم جنوب الرطبة باتجاه وادي حوران، كما منعتهم من التقدم في البادية الممتدة بين نهر الفرات وجبل سنجار، ويذكر بعض الصيادين السوريين، الذين لم يكتفوا بالبراري السورية وعبروا الحدود للصيد واكتشاف براري العراق، أن تلك المناطق مليئة بالأنفاق، وخنادق بعرض أكثر من خمسة أمتار وامتداد يصل إلى 100 متر مسقوفة بعوارض معدنية وسعف النخل المغطى بالتراب، بحيث لا يمكن رؤية المدخل إلا من مسافة قريبة. وقد اختبأ فيها عناصر تابعة للتنظيم القديم الذي اختفى ولم يظهر حتى خريف 2013، معلناً أنه «الدولة الإسلامية»، التي اشتد عودها بعد هروب معتقلي التنظيم من سجن أبو غريب، وقامت قائمتها مع احتلال الموصل، وكسر جبهة النصرة وأحرار الشام والفصائل الأخرى في الرقة ودير الزور.

في ذلك العام الذي ذكره الوالي كان حميّد يرعى غنمه رفقة ابنه جنوب مدينة الرطبة العراقية، ودخلوا بمواشيهم وادي حوران الذي نُسجت حوله الأساطير، فظهرت مجموعة مسلحة اعتقلت الأب والابن لعدة أيام، ولما تأكدوا أنه مجرد راعي، أطلقوا سراحهم محذرين من مغبة الحديث عن تواجد مجموعات مسلحة في تلك المنطقة، وحميّد بدوره كابن عشيرة حفظ العهد وبقي يرعى في تلك المنطقة، ومنحهم ما يحتاجون من خراف وخبز ومواد تموينية دون أن يعرف من هم، سوى أن قائد المجموعة يدعى أبو أنس، الذي أصبح والياً لولاية الفرات، ورأى أن من ساعدهم أوقات ضعفهم، يستحق المكافأة ورد الجميل أوقات قوتهم.

تُختتم الحكاية بأن حميّد لم يطلب شيئاً حتى هجوم التنظيم على قرى عشيرة الشعيطات واعتقال وقتل الذكور، وتشريد العائلات، عندها توسطته إحدى العائلات من الشعيطات لإخراج أبنائها الأربعة، فذهب إلى أبو أنس الذي صفح عنهم بدوره، وسلمهم لحميّد، رغم غضب صقور التنظيم من حاشيته. وعلى الرغم من التهويل الشعبي الذي أصاب الحكاية أثناء تناقلها إلا أن الكثير من أبناء البوكمال يؤكدون أن هؤلاء الأربعة فقط هم من نجا من إعدامات داعش بحق أبناء عشيرة الشعيطات.

واليوم، بعد الإعلانات المتكررة عن دحر تنظيم داعش من قبل روسيا والتحالف الدولي، يبقى في البادية السورية على الأقل بقعتان غامضتان:

**الأولى**: ممتدة من الطريق الترابي الواصل بين محطتي الـ T3 والـ T2 النفطيتين حتى طريق دير الزور- تدمر، ابتداءً من جنوب قرية «الشولا»، هذه المنطقة لم تدخلها أية قوات بعد، وهناك مقاومة عنيفة في أطرافها، ومنها انطلقت هجمات عكسية للتنظيم على قرى الشولا وكباجب والسخنة، وعلى مقربة منها في بادية السخنة أظهرت تقارير مرئية لقنوات روسية أنفاقاً في التلال والجبال، تقود إلى حجرات متعددة جرى حفرها يدوياً.

**الثانية**: هي منطقة الروضة شمال نهر الفرات على مقربة من الحدود السورية العراقية، هذه المنطقة التي تُجمع الشهادات على أنها الملاذ الأخير للتنظيم لكثرة الحفر فيها، وذهب بعض الشهود إلى أن التنظيم استعان بمتعهدي بناء من الداخل السوري لإنشاء مخابئ بيتونية تحت الأرض في تلك المنطقة لقاء مبالغ خيالية. وينسجم هذا مع الاعتقالات التعسفية الكثيرة للتنظيم بحق أبناء دير الزور، والذي يُساق معظمهم معصوبي العينين للحفر لعدة أيام في أماكن يجهلونها، وينسجم أيضاً مع آلة حفر الأنفاق الضخمة نسبياً التي وجدها الجيش العراقي في الموصل.

لقد هرب الكثير من عناصر التنظيم، بعضهم عاد إلى بلاده، وبعضهم هاجر إلى بلدانٍ أخرى بصورة غير شرعية بحثاً عن الأمان أو عن «جهادٍ» آخر، وبعضهم ذاب في المجتمع السوري أو عاد إليه، بعد أن أخذت بعض الدول رعاياها وعملاءها المنخرطين في صفوف التنظيم، لكن هناك تحت الأرض في بقع نعرفها وأخرى نجهلها، اختفى ويختفي المئات وربما الآلاف بانتظار فرصةٍ أخرى للانقضاض على مكانٍ آخر.

# بين الزواج والقتال في مناطق الإدارة الذاتية

## حرية القاصر التي تقف عند حدود التطوع في الوحدات العسكرية

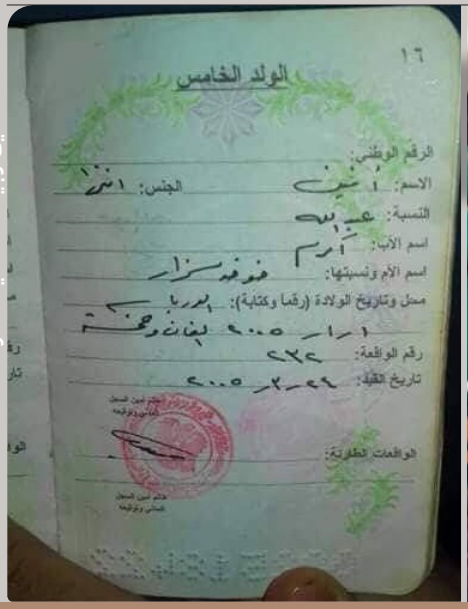

الصفة آفين وبياناتها في دفتر العائلة

كدر أحمد

**الطفلة آفين صاروخان من محافظة الحسكة، والتي أثير حولها الجدل منذ فترة، ليست الأولى بين من يتم تجنيدهن في الوحدات العسكرية، ولن تكون الأخيرة، بالرغم من شن النشطاء حملات عدة لوضع حد لذلك، لكن حالة صاروخان سلطت الضوء على التناقض الذي ينطوي عليه تعامل السلطات في مناطق الإدارة المحلية مع ملف القاصرات، بين منع تزويجهن من جهة، وتجنيدهن -إتاحة اختيار الالتحاق بالوحدات العسكرية لهن؟!- من جهة أخرى.**

أرام صاروخان من مدينة الدرباسية تحدث لعين المدينة بأن شقيقه أكرم قام بتزويج ابنته ذات ال17عاماً، وهو ما اعتبرته السلطات أمراً مخالفاً لقوانينها، فقامت بسجنه، ودفعه لكتابة تعهد عدم تزويج الفتاة قبل أن تبلغ ال18 من عمرها. ويتابع صاروخان بأن ذات السلطات، وبعد أيام قليلة، قامت بخطف أفين صاروخان، البنت الصغرى لأخيه ذات ال11 عاماً، من أمام مدرستها في مدينة الدرباسية، وبوضح النهار. أما الإدارة الذاتية فلا تنظر أبداً إلى الشكاوى التي يقدمها ذوو الأطفال، وكأنها لم تتلقها بالأساس، بحسب صاروخان، رغم أنها أكدت أكثر من مرة التزامها بالمواثيق الدولية بما يخص مسألة تجنيد القاصرات. ويفيد صاروخان بأنهم راجعوا عدة مرات مركز (الآساييش)، ليأتيهم الرد في كل مرة بأنه «لديكم سبع فتيات، واحدة لنا والبقية لكم». بينما لم تجدِ مراجعة مراكز مهتمة بشأن المرأة، فالجميع يتماشى مع توجهات الإدارة خوفاً من الإغلاق، كما يقول صاروخان.

المنظمات المستقلة تبدو «أذن من طين وأذن من عجين»، كما يقال، فعلى رغم العشرات من المنظمات المهتمة بشأن المرأة، إلا أن إحداهن لم تتطرق لموضوع تجنيد القاصرات، وهو ما يجعلها تظهر كشريك للإدارة في التكتم عن مصير القاصرات، وعدم المطالبة بعودتهن لذويهن. وحول دور المنظمات أفادت الناطقة الرسمية لمنظمة سارا، المتخصصة بشأن المرأة في شمال سوريا، نورا خليل، في حديث لعين المدينة، بأنهم لا يملكون أية إحصائيات عن تجنيد القاصرات، كما أنهم لم يتلقوا أية شكوى من نساء تم تجنيد بناتهن، لذلك ليس لديهم أي تواصل مع جهات عسكرية بخصوص ذلك، «مع أننا كنا حاضرين وقت اتفاق نداء جنيف بمنع تجنيد الأطفال». أما بخصوص تزويج القاصرات «فعندنا محاضرات بالمدارس، وورشات عمل بالمخيمات، للحد من انتهاكات حقوق الطفل» وأكدت أنها ضد تجنيد الاطفال دون السن 18، كما هي ضد تزويج القاصرات.

على أن صاروخان يبدو محقاً في ادعاءاته، في ظل حالات أخرى، فجهاد في ريف عين العرب (كوباني) تم القبض عليه من قبل (الآساييش) مع عروسه بحجة أنها قاصر، فاضطر لدفع رشوة مالية لمسؤولين في إدارة المدينة ليستطيع الخروج من السجن مع عروسته في نفس اليوم، كما يقول؛ يبدي استغرابه من هذه العقلية التي لا تلتفت للأخبار اليومية عن تجنيد القاصرات، ولكن السلطات في المدينة «وكأنها لا حس لها ولا خبر، تحت بند ضمان حرية الرأي للفتاة»، -على اعتبار أن الانضمام إلى الوحدات العسكرية شأن شخصي يخص الفتاة وحدها! ولها الحرية الكاملة في الإقدام عليه-.

وفي اليوم العالمي للتضامن مع المرأة أعلن مجلس العدالة الاجتماعية عن إحصائية تخص حالات العنف ضد المرأة خلال العام 2017، وتضمت 7 حالات اغتصاب، و160 حالة ضرب وإيذاء، و30 حالة زواج ثانٍ، و13 حالة زواج قاصر. لم تتطرق الإحصائية لمسألة تجنيد الفتيات القاصرات الذي يزداد يوماً بعد آخر في صفوف القوات العسكرية العائدة للإدارة الذاتية في شمال شرق سوريا. ويشرح حسن العلي وهو ناشط حقوقي وعضو مجلس العدالة الاجتماعية، أن قوانين الإدارة الذاتية والعقد الاجتماعي لا تحوي أية مادة تبيح أو تسمح بذلك، كما أنه ليس هناك سياسة ممنهجة بهذا الخصوص «بل على العكس، هناك رعاية خاصة للمرأة بشكل عام، والقاصرات بشكل خاص» وعزا التحاق قاصرات بالفصائل العسكرية كتطوع، وليس كتجنيد، لظروف نفسية أو اجتماعية أو عاطفية، أو لقناعات سياسية، تلعب العاطفة دوراً أسياسياً فيها. ويعتقد أنه قد تلجأ قاصر إلى تزييف حقيقة عمرها، يقول «إن الجهات المعنية عندما تتأكد من ذلك ستقوم بصرفها من الخدمة، وهذا على سبيل الافتراض، والحالات الاستثنائية التي يقوم البعض باستغلالها وتضخيمها، كي يشوه سمعة الإدارة الذاتية، أما إذا بلغت شكوى للقضاء بحادثة معينة فلا يوجد مايمنعه من التدخل».

في المقابل صدر قانون يجرم تزويج القاصرات، ويضع له عقوبات رادعة، وذلك بحسب الباب الثالث لقانون العقوبات، المادة 157، والتي تنص على أن من تولى إبرام عقد زواج قاصر لم يتم الثامنة عشر من عمره، عوقب بالحبس من ثلاث سنوات إلى سبع سنوات، ويعتبر ولي القاصر ومن تولى إبرام العقد شركاء في الجرم. فيما تتلقى السلطات على امتداد أراضي مناطق الإدارة الذاتية غرامة مالية من ولي الأمر تتراوح ما بين 300 ألف ومليون ليرة سورية.

# العائدون إلى بيوتهم تحت سيطرة «قسد» بدير الزور

أنس الراوي

**لا شيء يمنعهم أو يعيق طريق عودتهم إلى ريف دير الزور الخاضع لسيطرة «قوات سوريا الديموقراطية»، خلافاً لدخولهم إلى مناطق درع الفرات، فلا حاجز يطلب هوية، ولا عنصر يحاول إبراز جل ذكائه بنظرة في عيني أحد الفارين من جحيم الحرب في دير الزور.**

تحدث تقرير نشرته عين المدينة، في وقت سابق، عما يعانيه نازحو ديرالزور في مناطق درع الفرات، وقد وصلت أعداد من يدخلون عن طريق النقطة صفر (حاجز العون) إلى 750 شخصاً في اليوم، حالياً أعداد من يدخل مناطق درع الفرات عن طرق النقطة ذاتها لا يتجاوز المئة شخص بكثير، في حين تشهد الباب وجرابلس وأعزاز نزوحاً عكسياً باتجاه المناطق التي انتزعتها قوات سوريا الديمقراطية، مؤخراً، من قبضة داعش.

يخرج من كراج أعزاز ثلاث سيارات (فان) بشكل يومي متجهة إلى ريف دير الزور، ويفيد أحد السائقين الذين يعملون على خط أعزاز الجزرات (مدخل الحدود الإدارية لمحافظة دير الزور، 72 غربي المدينة) بأن العديد من الركاب يتجمعون يومياً للعودة إلى تلك المناطق. يدفع الراكب 17 ألف ليرة سورية للوصول إلى ديرالزور، خلافاً للمبالغ الطائلة التي كان يضطر لدفعها للهروب منها، وتمنع «قسد» السائقين القادمين من خارج المناطق التي تسيطر عليها تجاوز الجزرات، في حين كانوا يصلون بسياراتهم إلى قرية الطيانة شرق ديرالزور، ولكن ذلك لم يعد بإمكانهم، بعد شكاوى سائقين يعملون هناك في نقل العائدين دون صعوبات أمنية، بحسب السائق. أما عن أعداد العائدين فيصعب تقديرها لأن العودة غير منظمة، وتقع خارج إدارة الكراجات، إضافة إلى أن هناك آخرين يعودون بسيارتهم الخاصة.

يذكر أبو جمعة أن محاولاته الحالية لجمع بعض المال ليست بهدف استئجار منزل، أو شراء خيمة في مدينة أعزاز، بل بهدف تأمين قيمة العودة إلى قرى الجزرات بريف دير الزور الخاضع لسيطرة «قسد»، فمبلغ الخمسين ألف ليرة سورية، الذي يسعى لجمعه، لا يكفي لإيجار بيت أو شراء خيمة، لكنه يدخره لسائق «ابن حلال وافق على حجز ثلاثة مقاعد لي بهذا المبلغ». أما الأسباب التي دفعت أبو جمعة للعودة، فيلخصها بأنه لم يتوفر في أعزاز على أي سبب للبقاء، لا سكن، لا عمل، ولا حتى سلة إغاثية، كما يقول، «أنا لا أستطيع الذهاب إلى دمشق خوفاً من قوات النظام، وفي الجزرات سمعت أن العمل متوفر، وإيجار المنازل لا يتجاوز 10 آلاف ليرة سورية»، ويضيف بأنه لم يعمل ما يمكن أن يتسبب له بمشاكل مع «قسد»، «أنا شخص مدني، لا أطلب أكثر من العيش، لدي ثلاثة أطفال وأمهم، نريد أن نعيش، ولا يهمني من يحكم المنطقة».

لا تتوفر الخدمات العامة في المناطق التي سيطرت عليها «قسد» في ديرالزور كتوفرها في شمال وشمال شرقي حلب، فيضطر القاطنون هناك لقطع مئات الكيلومترات كي يصلوا إلى مشفى، كما لم تدرْ عجلة الزراعة حتى الآن، في حين يقطن عشرات الآلاف من النازحين عن قراهم وبلداتهم ومدنهم في خيم عشوائية، أو يشغلون منشآت حكومية سابقة، لكن العائدين يفضلون المكوث هناك على أية حال، ويفيد أحد العائدين إلى قرية الحوايج، وهو من مدينة الميادين، أن الكهرباء و الماء متوفران إلى حد ما، الأنترنت حصراً في الليل، الإيجارات أقل بكثير من أعزاز أو الباب، «فإيجار شهر في إحدى هذه المدن يكفينا ثلاثة أو أربعة أشهر في الحوايج»، كما أن الأسواق بدأت بالعمل بشكل تدريجي، مما يجعل فرص العمل ممكنة.

لا يحتاج أي متابع لأوضاع النازحين من دير الزور إلى مناطق درع الفرات لأي جهد لمعرفة أسباب عودة بعضهم إلى ريف دير الزور (خط الجزيرة) حيث تسيطر «قسد» على معظم الخط، فلا خيم تم نصبها، إلا في حالات نادرة، وبشكل فردي تطوعي، لا بيوت فتحت أمامهم، لا منظمات كانت بانتظارهم، ولم تتحمل أي جهة حكومية مسؤوليتها تجاه موجة الوافدين، فضلاً عن أنهم عائدون إلى بلادهم، وإن فصل النهر بينهم وبين بيوتهم، في حالة من عبر النهر ليهرب، كما يقولون.

على أحد الجدران في أعزاز

# القانون السوري في محاكم ريف حلب الشمالي

## اعتراضات لأسباب لا تخص القانون وجدل مستمر

محمد سرحيل

أثارت حادثة توقيع عدد من القضاة المنشقّين عن النظام فيما يعرف بمناطق «درع الفرات» على اعتماد وتطبيق القانون السوري -بما لا يخالف دستور عام (1950)- موجةً من الاستياء داخل الأوساط الثورية عموماً، وبين صفوف العاملين في سلك القضاء والمحاكم الشرعية خصوصاً، فلماذا رفض البعض هذا القرار وماهي البدائل؟

شهدت قنوات التواصل الاجتماعي حملة انتقاد واسعة لم يسلم منها الموقّعون على هذا القرار، وعلى خلفية ذلك سارعت العديد من الجهات لإصدار بيان استنكار للقرار، ومن أبرزهم فصائل الجيش الحر، التي أعلنت في بيان رسميّ رفض بيان القضاة، وطالبت بتشكيل لجنة مختصة تشمل «كافة شرائح الثورة» لاختيار أو صياغة مجموعة من القوانين تناسب المرحلة، إلى حين «اختيار الشعب قانونه ودستوره بعد إسقاط النظام»، ولعل اللافت في بيان الفصائل عدم تدخلها في رفض أو قبول القرار جملة وتفصيلاً، وإنما جاء اعتراضهم على استئثار القضاة، وتفرّدهم بمثل هذا القرار الخطير والهامّ دون الرّجوع لباقي مكونات المجتمع.

وعقب بيان الفصائل عقد قرابة 50 قاضياً ومحامياً اجتماعاً حضره عدد من المحامين والقضاة السوريين العاملين في منطقة درع الفرات، ومندوبون عن وزارة العدل التركية بصفة مراقبين، أقروا بموجبه تطبيق القانون السوري وفق دستور 1950 وما قبله، مع العمل على طيّ وتعطيل المواد المخالفة للفقه الإسلامي ومبادئ الثورة السورية أينما وجدت، وتكليف لجنة تعمل على إصدار لوائح بالمواد المعطّلة خلال مدة أقصاها شهر.

يفيد عمرو شميس رئيس المحكمة الشرعية في حلب وريفها سابقاً، في حديث لـ«عين المدينة»، بأن اعتماد القانون السوري يشكل (سابقة ثورية خطيرة)، لكونه يحوي مواداً تكرّس الاستبداد والعنصرية، سواءً أكان وفق دستور 1950 أم 1973، كما أنه يعتمد في الكثير من الأحكام على القانون الفرنسي والألماني، وقوانين أخرى لا تعبر عن ثقافة ولا هوية الشعب السوري، وذلك خلاف القانون العربي الموحد الذي يحظى بشرعيّة عربيّة ودولية لا يمكن إنكارها، إضافةً للشرعية الثوريّة التي اكتسبها من قبل العديد من المكونات، من أبرزها هيئة محامي حلب الأحرار ومجلس القضاء الأعلى وغيرهم.

وتطبّق معظم المحاكم المحسوبة على فصائل الجيش الحر على امتداد الجغرافيا السورية القانون العربي الموحد، وذلك بعد معارك وتجارب خاضتها المحاكم والهيئات الشرعية تحت مسمى «تحكيم الشريعة»، إذ لا يمكن لأي جهة تطبيق أي شريعة ما لم تكن مقننة ومفصّلة، واستطاع القانون العربي الموحد في الفترة السابقة أن يحسم الجدل من هذه الناحية، وقد اعتمد المجلس الإسلامي السوري الذي يضم قرابة 40 رابطة علمية وشرعية في أنحاء سورية هذا القانون، ونصّ على عدم الخروج عنه إلا في حال مخالفته نصوصاً شرعية صريحة.

يقول المحامي محمد حاج عبدو العامل في ريف حلب الغربي لعين المدينة: «يتميز القانون السوري بمواده المقنّنة والمفصلة مع وجود الشروحات، ولا شك بأنه أسهل لنا كمحامين من حيث الممارسة والتطبيق، إلا أن العربي الموحد يبقى المرجعية الأنسب كقضاء ضرورة في الوقت الحالي، نظراً لتوافق معظم المحاكم عليه، واعتماده الشريعة الإسلاميّة كمصدر تشريعي وفق مواد مقنّنة، مع الإشارة إلى أن العديد من مواده تمّ تعطيلها كالحدود وغيرها، وذلك إمّا بسبب مخالفة بعضها للشريعة، أو استحالة تنفيذها في حالة الحرب لعدم وجود (إمام)»، ويرى حاج عبدو بأن «الاتفاق على القانون الواجب التطبيق لا يمكن أن يقرّه بضعة أشخاص، خصوصاً مع عدم مراعاتهم حالة الضرورة التي لم ترفع بعد»، ويضيف: «قرار كهذا لا بد له من عقد اجتماعي، يمثل فيها الشّعب العنصر الأبرز، وهو من مهام ومسؤولية لجان مختصة تمثّل الشعب وتتضافر فيها جهود علماء الشريعة والقانون، لتقوم بإعداد دستور وقانون جديدين للبلاد».

ويتطابق القانون السوري مع العربي الموحد في أصول المحاكمات بنسبة كبيرة، إلا أنهما يختلفان في عدد من الأحكام والقضايا، فلا ينصّ القانون السوري مثلاً على الحدود والتعزيرات، كذلك يحوي مواداً تخالف الشريعة كقضايا الزنا والفائدة وغيرها، ويعدّ القانون العربيّ الموحد، كما يرى المدافعون عنه، أفضل القوانين التي تعتمد الشريعة الإسلامية كمصدر رئيسي في التشريع، إلا أنه لم يسلم من بعض الملاحظات، وهو قانون شاركت بصياغته في وقت سابق لجان شرعية بإشراف علماء وحقوقيين وقانونيين، تحت مظلّة جامعة الدول العربية، وذلك بهدف توحيد الدول العربية، وإقامة التشريع العربيّ الموحّد وفق أحكام الشريعة الإسلامية، ويتميّز بأنه لا يتقيّد بمذهب فقهيّ معيّن.

من مدينة الباب - عدسة الكاتب

# مقاهي نازحي دير الزور في مدينة الباب

خليفة الخضر

منذ تحريرها من قبضة داعش في شهر شباط الماضي، صارت مدينة الباب هدفاً لموجات نازحين من مدن وأرياف سورية مختلفة. حمل النازحون إلى المدينة تنوعاً مناطقياً يظهر في الأسماء التي أطلقوها على المقاهي والمطاعم والمتاجر، وغيرها من الأعمال التي أسسوها في الباب.

بمجرد الوصول إلى المدينة، وعلى مدخلها الشمالي، يبرز حضور النازحين بأسماء المدن والقرى التي جاؤوا منها، أو بأسماء متصلة بها، أو أسماء تشبه الماركات كانت معروفة هناك، مقهى حمص، كافتريا اميسا (حمص)، فلافل حلب، مقهى الفرات، مقهى ترقا (العشارة)، مقهى الجسر، مقهى الشرقية، موبايلات تادف، مشاوي أبو فاضل- فرع الباب، وغيرها الكثير مما يشغل أكثر من نصف الواجهات في الشوارع الرئيسية والفرعية ايضاً، في المدينة التي يقدر ناشطوها عدد سكانها اليوم ب(180) ألف نسمة تقريباً، نصفهم أو أكثر اليوم من النازحين.

يرى ياسين العبد الله، وهو ناشط إعلامي من دير الزور، أن التسمية نسبة إلى مدن النازحين قد تعزل الناس بعضهم عن بعض، وتجعلهم «متكتلين ومنغلقين على أنفسهم، لا يعرفون عن المجتمع الآخر إلا القليل» ما قد يسبب، بحسب رأي العبد الله، تناحر ومشاكل خطيرة في المستقبل.

يعد أبو محمد هذه الأسماء دليلاً على تعلق النازحين وحنينهم إلى ديار قد لا يعودون إليها في وقت قريب. وتحت أسمائها يجتمعون للاستئناس ببعضهم البعض، وللتخفيف من مرارة النزوح. يقول أبو محمد الذي يدير مقهى صغيرة حملت اسم مدينته -طلب ألا نذكر اسمها- إن المقاهي في مدينة الباب هي عتبة يدخلها الوافد الجديد، ومن خلالها يبحث عن منزل يأويه، وعن عمل يعيل به أسرته. ولا يرى أبو محمد في عادة النازحين التردد على أمكنة تخص أبناء بلدهم علامة فرقة، فهنالك عوامل أخرى تجمعهم، أولها المسجد الذي يصلي فيه الجميع، وكذلك الجيرة في الأحياء والحارات، وغير ذلك الكثير.

في مقهى دير الزور يمضي أبو إبراهيم، النازح من البوكمال، معظم نهاره من الصباح حتى المساء، وفي مرات كثيرة يتناول غداءه في المقهى برفقة أصدقائه، يدخن، يشرب الشاي، ويسمع آخر أخبار البلد مع القادمين الجدد من هناك. يقول أبو إبراهيم إنه يجد في المقهى تسلية عن الهموم التي يضيق بها صدره بعد سنوات عصيبة تحت ظل داعش، والقصف الهمجي للنظام الذي أخرجهم في الآخر بملابسهم تقريباً من بيوتهم، ثم خلال رحلة نزوح مرّ بها في مخيمات جنوب الحسكة التي تشبه المعتقلات، ثم في طريق يملؤه اللصوص، والمرتشون الذين سلبوا منه ملايين الليرات لتسهيل عبور عائلته الكبيرة، قبل أن تحط به الرحال هنا، مثل آلاف غيره من أهل البوكمال، ليعتاد مع عشرات منهم ارتياد هذه المقهى كل يوم. لا يجد أبو إبراهيم في التفاف أهل كل بلد على بعضهم عزلة عن الآخرين، إذ يسمع هنا كل يوم حكايا من كل مكان، وتعرف خلال الشهرين اللذين قضاهما في الباب، منذ وصوله إليها، على أشخاص من جميع المحافظات.

حاول أبو إبراهيم أن يخرق اعتياده الجديد، تجنب في أكثر من مرة الذهاب إلى المقهى والبقاء في البيت، غير أنه لم يكن سعيداً بهذه المحاولات، فهناك يقع فريسة للتفكير والتذكر، و«الصفن بهذا المسلسل العجيب اللي شفناه، ولسا ما صحينا منه» كما يقول. يعلق جليسه المرح، الذي لا تنطفئ سيجارة الحمراء بين أصابعه، بأنهم لا يستطيعون «مقابلة النسوان في المنزل طوال الوقت» ولا يوجد مكان آخر يلتقون فيه.

في الواقع افتقدت معظم المقاهي الكثيرة التي افتتحها النازحون من دير الزور في مدينة الباب السمات التقليدية للمقهى، إذ تغيب كراسي الخيزران، والأسقف المرتفعة، والإطلالات المعهودة من خلال الزجاج على المارة في الشوارع، وتبدو بهذه النواقص، وبالكراسي البلاستيكية الملونة، وشاشات التلفاز على الحائط، أقرب «للكافتريا»، لكن هذا الاختلاف لا يحول دون محاولات يبذلها الزبائن، وخاصة الأكبر سناً، لاستعادة ما ألفوه، بتجاهل الكوكتيل والكولا والعصائر المعلبة، والتركيز على الشاي، وكذلك التركيز على الأغاني العراقية من جيل الياس خضر وحميد منصور وسعد الحلي أحياناً، إلى جانب أم كلثوم في أوقات المساء.

# حكايا سوريات تزوجن بـ«مهاجرين»

يمامة أسعد

كما في محافظات أخرى، يميل الرأي العام في إدلب إلى رفض زواج السوريات بأجانب، جاؤوا إلى البلاد للقتال بدافع «الجهاد» أو بدوافع أخرى، وما يزال البعض يتقبل هذا النوع من الزواج بمبررات مختلفة، أولها حل مشاكل (العنوسة)، والنسب المرتفعة للنساء الأرامل والمطلقات.

إلى منزل والديها المؤلف من غرفتين في جبل الزاوية، عادت أسماء ابنة ال (15) عاماً تحمل طفلها الرضيع، وهي عازمة على ألا تعود ثانية لزوجها، المهاجر التركستاني، بعد سنة قضتها معه. كان المنزل بارداً، ويدل أثاثه على فقر مدقع تعاني منه الأسرة، يفسر دون أسئلة دوافع تزويج هذه الطفلة مرتين، الأولى لرجل من حلب سرعان ما اختفى، والثانية من «التركستاني». تبكي أسماء، وهي تضم الطفل في محاولة لإسكاته عن البكاء دون أن يسكت، «كنت ظل جوعانة عنده، أكلهن كله عجين، ولما سألني ليش ما عم تاكلي، وعرف اني ما حبيت أكلن، عصب وصار يضربني، ما كنت قدرانة اشرح له، لأنه يادوب يفهم علي وبفهم عليه» تقول أسماء، وهي تحاول مساعدة أمها المستلقية بفراش المرض على القعود، لتتمكن من فهم ما يجري حولها، ومن أنا. تقول الأم أن كل شيء في قصص الزواج «قسمة ونصيب» لمواساة ابنتها، التي تسترسل في رواية قصتها مع المهاجر الذي كان يضربها بسبب ودون سبب، حسب ما تقول، «مرة، قبل ما يروح عالرباط، ترك لي 700 ليرة، ولما رجع وعرف اني صرفتن عصب، وصار يضربني بأيديه ورجليه...ولما عرف اني حبلت، جاب لي حبوب للتسقيط، قال لي اشربي، ما رضيت، عصب وصار يضربني ويصرخ، لكني عندت لحتى استسلم للأمر الواقع».

لم تفصل المحكمة الشرعية التي اشتكت إليها أسماء في قضية طلاقها، لكنها تقسم أنها لن تعود إليه مهما حدث، ولا تبدو لصغر سنها مدركة بعد المستقبل الغامض الذي ينتظر طفلها، ولا لوضعه القانوني المعقد، أو المعاناة الكبيرة التي سيجدها أمامه عندما يكبر، بلا أب، وبلا نسبة مسجلة ومعروفة ومعترف بها.

تنصح سوسن، وهي صيدلانية وناشطة اجتماعية، بتجنب تزويج المهاجرين، للتباين الكبير في العادات والتقاليد واللغة التي تشكل عائقاً حقيقياً أمام بناء حياة طبيعية في هذا الزواج، و«إذا كان الدافع ديني، وتقدير للمجاهدين، فعنا مجاهدين سوريين كثير، وإذا كان مادي، فشباب سوريين كثير يقدروا يكونوا على مستوى المسؤولية».

على برنامج الواتس أب تجيب سيدة مهاجرة وصلت بها على بعض أسئلة عين المدينة، دون أن تكشف عن هويتها، وتكتفي بتعريف مقتضب أنها «داعية تحمل شهادة عليا في أصول الفقه»، وتقول إنها لاحظت نسبة متزايدة من النسوة دون زواج، ما يهدد المجتمع بمشكلات خطيرة، وعلى الطرف المقابل توجد أعداد كبيرة من المهاجرين العزاب يريدون الزواج، ولا يجدون من يقبل بتزويجهم من «الأنصار»، وتعترف بوقوع كثير من الزيجات الفاشلة، وأساس المشكلة، حسب ما تقول، هي أن المهاجر غريب ومجهول، يتعمد إخفاء هويته لأسباب أمنية تراها محقة، ما يحول دون قدرة الأهل على السؤال عن «أصل المهاجر ودينه وخلقه». ترفض الداعية التعميم وإطلاق الأحكام والتهم على جميع المهاجرين، فمثلما يوجد «من هو سيء الخلق والدين، والجاسوس أيضاً، في صفوفهم، يوجد مثلهم لدى الأنصار»، وتقترح، حسب قولها، حلاً عملياً بأن يكشف المهاجر عن هويته لأهل من يريد الزواج بها، ليتمكنوا من السؤال عنه، «ليس في سنوات وجوده في الشام فقط، بل في بلده الأصلي أيضاً» إذ أصبح العالم قرية صغيرة كما تقول.

تقدم ريم، وهي خريجة معهد متوسط وأرملة سابقة لمعتقل لاقى حتفه في سجون النظام، صورة مغايرة عن الزواج من مهاجرين، إذ اقترنت بأوزبكي تعرف، كما يبدو من حديثها، الكثير عن حياته السابقة، فهو مهندس في بلاده، ومهاجر عنها منذ (17) عاماً، ويتقن العربية بطلاقة، ويعلمها للآخرين، وتصف زواجها بأنه «عادي مثل أي زواج، خطبني، وعملت استخارة وفكرت منيح، وتعهد يظلوا ولادي معي وما يظلمهم، ووافقت وعقدنا القران، وبلشنا نجهز ونشتري غراض وذهب، وتجوزنا بعد تلات أسابيع من الخطبة». تقول بأن زواجها موفق، وبأنها سعيدة، وبأن زوجها يعامل أولادها كأنه أب لهم.

بعد زواج دام (20) عاماً تزوج زوج خولة، (39) عاما، من إمرأة ثانية، وطلقها وحرمها حتى من رؤية أولادها. أحست بأنها تائهة، وعلى وشك الضياع، لكنها اليوم، وبعد أن تزوجت من مهاجر تركستاني، تشعر بأنها سعيدة، وتتمنى بأن ترزق منه بطفل.

جامع الوسيم في مخيم اليرموك - من إصدارات داعش

# مخيم اليرموك بين داعش والمصير المجهول

وضاح الشامي

تزامناً مع الهزائم التي تلقتها داعش في مناطق سيطرتها السورية الأوسع تشهد الأحياء الخاضعة لها جنوب دمشق تطورات مُتسارعة تدل على انهيار متسارع في صفوفها يثير لدى السكان المدنيين مخاوف عديدة من مصيرٍ مجهول قد يُنتظرهم نتيجةً لاتفاقاتٍ سرّية قد تُعقد في وقتٍ قريبٍ.

تتسرب أنباء عن اتفاق عقده مقاتلون في كتائب الجيش الحر النازحون من الجزء الذي تسيطر عليه داعش في جنوب دمشق إلى بلدات يلدا وببيلا وبيت سحم مع قوات النظام؛ يقضي بعودتهم حال إكمال عناصر تنظيم داعش خروجهم منه. وتأكد خروج قادة بالصف الثاني لداعش عبر طرق فتحها النظام مروراً بمناطق سيطرته إلى الريف الغربي لمحافظة درعا، حيث يسيطر التنظيم على منطقة واسعة هناك، وقع بعضهم في قبضة فصائل الجيش الحر بدرعا، مثل منفذ الإعدامات الشهير صلاح قطيش، وراتب طيارة أحد مؤسسي التنظيم في جنوب دمشق، ومسؤوله الإعلامي السابق. وإلى جانب فرار قادة من صفوفه يعاني التنظيم من عجز مالي ظهر في انقطاع الرواتب عن مقاتليه، منذ ستة أشهر تقريباً، كذلك بدت علامات تفكك تمثل بتمرد نحو 50 من مقاتليه، ورفضهم الأوامر باعتكافهم في منازلهم، وتخليهم عن الحصص والإعانات الغذائية التي ما يزال التنظيم يوزعها على المنتسبين إليه. ولكن، وبالرغم من مظاهر الضعف تلك، ما زالت داعش تفرض قوانينها الجائرة على السكان، بكل ما يتعلق بسلوكهم ومظهرهم.

يقول الحاج خالد (اسم مستعار) من أهالي مخيم اليرموك «إن تجاهل داعش لهزائمها في الرقة ودير الزور، ومواصلة أسلوبها نفسه نحو الأهالي، إما أن يكون مكابرة وعناد فقط، أو يكون تحضيراً لكارثة ستودي بالمنطقة». يرفض الحاج خالد الذي اقترب من (60) عاماً أن يغادر بيته، ويشرح بأن المعاناة التي عاشها في السنوات السابقة جعلته يصر على البقاء «بتنفس من ذاكرتي المليانة بأحداث المخيم الصعبة، ومتأكد أنه مستحيل حدا يصدق معاناتنا» ويتساءل «يا ترى معقول حدا يصدق أنه عايشين بدون دوا، وبدون مي وكهربا وأكل طبيعي من خمس سنين، أو يصدق أنه دفعنا ثمن كيلو الرز 13 ألف ليرة سوري؟» ويتذكر الحاج أيام الجوع التي عاشها وقت الحصار، ثم الرعب وقت دخول داعش إلى المخيم، لكنه ورغم كل ما مر به يجعل عودة النظام والفصائل الفلسطينية التابعة له النهاية الأسوأ للمخيم.

تمتد سيطرة داعش جنوب دمشق على حيي الحجر الأسود والعسالي، وأجزاء كبيرة من مخيمي التضامن واليرموك. ويبلغ، حسب تقديرات الأهالي، عدد السكان الخاضعين لسيطرة داعش (5500) نسمة، معظمهم من اللاجئين الفلسطينيين، يليهم النازحون من الجولان. ورغم الأغلبية التي يشكلها الفلسطينيون في هذه المنطقة إلا أنهم يبدون خشيتهم من الفصائل الفلسطينية الموالية للنظام، التي يرجّح أنها ستكون ذراع سيطرته بعد داعش.

## محاصرون داخل الحصار

إلى جانب السيطرة الأكبر لداعش على مخيم اليرموك، تسيطر قوات النظام والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة على مدخل المخيم باتجاه مدينة دمشق، وتسيطر هيئة تحرير الشام على جيب صغير لا يزيد على عدة شوارع غرب المخيم. ويفرض النظام، وتفرض داعش من جانبها، طوقاً محكماً على هذا الجيب الذي يقيم فيه طوعياً نحو (500) من السكان المدنيين.

أم عمر العجوز التي جاوزت (70) عاماً واحدة من قاطني جيب «تحرير الشام» في المخيم، ترفض رغم أمراضها المزمنة وندرة الدواء مغادرة بيتها، وكذلك تفعل أم محمد ربة المنزل التي تستعمل ما تلتقطه من حطب ومن علب بلاستيكية ومن حطام قابل للاحتراق في الطبخ، وفي تدفئة أطفالها الذين تعلمهم بنفسها. «من أكتر من سنة ما أكلنا خبز» تقول أم محمد، التي تعتمد على ما يتيسر من مواد غذائية من منطقة سيطرة داعش في إطعام أولادها. ومثلها مثل كثيرين في جيب «تحرير الشام» لا يبدون اهتماماً بمن سيسيطر في المرحلة القادمة، بشرط أن يدعوهم يعيشون بسلام.

قبل الثورة كان مخيم اليرموك واحداً من أكبر المخيمات الفلسطينية في سورية، وزاد عدد سكانه على (300) ألف نسمة، وخلال العام الأول للثورة كان قبلة للنازحين من المناطق الثائرة في دمشق وحمص وغيرها، قبل أن تقحمه القيادة العامة في الصراع الدائر، وتحوله إلى قاعدة انطلاق لمقاتليها باتجاه البؤر الثائرة جنوب دمشق، وإلى حين تحريره من قبل فصائل الجيش الحر مطلع العام 2013. ثم تعرض لحصار خانق قضى بسببه أكثر من (200) شخص، وامتد إلى حين سيطرة داعش مطلع العام 2016.

# على هامش الحرب.. مرضى ومجانين في شوارع دمشق

تجلس هناك في إحدى زوايا السوق، وصرة ملابس صغيرة في حجرها، تتأمل وجوه المارة، تتقاطع نظراتها للحظات بنظرات بعضهم، لكنها في مكان آخر، تبدأ حديثا غير مفهوم مع إناس تتخيلهم، تنفعل ثم تضحك، وما تلبث أن تشيح بوجهها عنهم.

ريا فارس

منيرة فقدت عقلها قبل سنوات، لا يعرف أحد كيف حدث ذلك، وتبدو شقيقتها سناء مشغولة بمأساتها الخاصة، حيث فقدت زوجها وابنتها الصغرى، وتعمل اليوم في صالون تجميل للسيدات. تشكو أحياناً من آلام في ذراعيها بسبب التهاب الأعصاب، مما يعيقها عن عملها الذي يعينها على الصمود أمام ما مرت به. ترافقها منيرة أختها الكبرى، لتفترش الزاوية إلى جانب الصالون، وتجلس متأملة في دفء الشمس. سناء لم ترَ زوجها مقتولاً ولم تصدق، وبعد سنوات من نزوحها عن منزلها في عدرا ما زالت تأمل بأنه حي، رغم أن أحدهم أخبرها بأنه رأى رأسه مقطوعاً وملقى على قارعة الطريق. لاحقاً اكتملت المأساة بفقدان ابنتها الصغرى إثر إصابتها بشظية في الرأس أثناء قصف على حي دويلعة: «ما لحقناها. حملتا بين إيدي وركضت ع المشفى بس ما لحقت. ماتت بين إيدي ع الطريق».

تكفكف دموعها: «ضليت شهور حس بدمها سخن ومدبق ع إيدي»، خضعت سناء للعلاج النفسي مما يسمى اضطراب الرض بعد الشدة، وهو اضطراب نفسي يحدث بعد تعرض المرء لموقف يهدد حياته أو حياة أحد المقربين، ومعاينة الموت بشكل شخصي، حيث يسيطر الخوف الشديد على المريض، وينحو باتجاه العزلة، ويعاني من كوابيس ونوم مضطرب مع ذكريات مؤلمة وحالات هياج.

بات من الصعب أن تجد في سورية عائلة أو حتى فردا لم يمر خلال السنوات المنصرمة بحادث أليم أو لم يفقد عزيزا، فالكل بات يعيش في إحدى مراحل الحداد، وما إن يخرج منها حتى يعود. فشادي، الذي كان شاباً في العشرين ضمن صفوف جيش النظام في دير الزور عند دخول داعش، شاهد صديق طفولته يجز عنقه ويذبح، اختبأ شادي مذعوراً ولم ينبس ببنت شفة خوفاً على حياته، ابتلع أنفاسه وتكور على نفسه، تاركاً صديقه يقتل وحده، ليعود هو إلى أهله نصف مجنون من هول ما رأى، كان محظوظاً بما فيه الكفاية ليعود إلى عائلته، التي خسرت بعد أشهر ابنها الأكبر في تفجير سيارة مفخخة في جرمانا. نجا شادي مرة أخرى من الموت، لكنه لم ينجُ هذه المرة من رائحة أخيه الأكبر وهو يشوى حياً، ولا من صوت صراخه الذي يملأ أذنيه ليلاً فيمنعه من النوم، لينهض كملسوع يذرع البيت جيئة وذهاباً. ارتأت العائلة بعدها أن تبعد ابنها الناجي من الموت إلى البرازيل، فعلاجه النفسي وإن اكتمل فمن غير المرجح أن يصمد في مواجهة ثالثة.

أما سلمى فمستمرة بالبحث عن زوجها وأبو بناتها الثلاثة الذي فقد عقله إثر اعتقاله لدى مروره من أمام حاجز في نهر عيشة: «زتوه من السيارة بالشارع، ما كان بيعرف مين هو ولا وين، بس الجيران عرفوه وجابوه ع البيت، ما قدرنا نعرف منه شي ولا لحقنا نعرضه ع دكتور». في اليوم الثالث لعودته خرج من المنزل ولم يعد. «ما لحقنا نفرح فيه، كانت الناس بعدها تهنينا بسلامته لما اختفى». وما زالت تبحث عن زوجها آملة عودته إلى بيته يوماً.

لا إحصائيات دقيقة عن حالات الرض بعد الشدة، في ظل رحى الحرب المجنونة، وفي مجتمع ما زالت تنظر بعض شرائحه إلى الإصابة النفسية على أنها أمر ثانوي، عدا عن الوصمة المرافقة للمرض النفسي، ويبدو للمتابع أن الوضع يتعدى الحالات الجلية والمشخّصة، فالاكتئاب والإحساس بالعجز واليأس يسيطر على الشريحة الشابة ويقعدها عن الإنجاز، ومن غير الممكن رصد أو قياس الآثار النفسية على الشرائح العمرية الصغيرة التي تترعرع في هذه الظروف من الحرمان والقلق والخوف، وهو أمر لن ننتظر كثيراً حتى تظهر نتائجه الكارثية على بنية المجتمع. لكن الملاحظ مؤخراً انتشار ثقافة العلاج النفسي والتحليل على خجلها في وسط الشباب الذي بدأ يبحث جدياً عن حلول لأزماته النفسية، متقبلاً العلاج النفسي ومشجعاً عليه، وإن نظر إليه كشرٍ لابدّ منه.

دوار مندرس بمدينة كيليس (الكاتب)

# في مدينة كيليس..
# حين يجتمع العمال السوريون على دوار مندرس وينصرفون

«ما دخل جيبي ولا ورقة من تلات أيام» بدأ أبو علي حديثه، وهو يلف سيجارة من كيس تبغ مهترئ «كابتن بلاك»، وضعها بين إصبعيه، ثم مررها على فمه، اقتطع منها الجزء المبتل، ليبصق على الأرض. «الشغل بالشتا قليل، مافي غير حمولات الفحم، كل يومين تلاته، وعلى طول بياخدوا الشباب». أصلح أبو علي «منديله» كي يغطي الشيب الذي ملأ رأسه.

مصطفى أبو شمس

على طرف الرصيف المحيط بدوار مندرس، في ولاية كيليس التركية، يتجمع العشرات من الشباب السوري، منذ ساعات الفجر، يرتدون كل ثيابهم لشدة البرد، يضعون أيديهم في جيوبهم الخلفية، وينتظرون السيارات العابرة لتختار منهم «عامل يومية»، بعد أن أرهقهم البحث عن فرصة عمل في الولاية الحدودية التي تضاعف عدد اللاجئين السوريين فيها، خلال السنتين الأخيرتين، ليشكلوا نسبة 95,15 بالمئة إلى المواطنين الأصليين، بعدد تجاوز 125 ألف لاجئاً، مقابل 130.825 من الأتراك المسجلين في الولاية، بحسب المديرية العامة لإدارة الهجرة في تركيا. أكثر من نصفهم يعاني من عدم توفر فرص العمل.

لا توجد منشآت صناعية كبرى في كيليس، ويعتمد سكانها على وظائف الدولة، بالإضافة إلى المحاصيل الزراعية من أراضيهم. «في مواسم الزراعة كنا دائماً نلاقي شغل، نجي عالدوار وتجي سيارات تاخدنا نشتغل بالأرض، نحوش فليفلة، زيتون، خضرة، بس بالشتا مافي مواسم، كل يوم منقعد لهون ونادراً ما نتوفق بشغل»، يقول أحمد العبد الذي كان يعمل موظفاً في مؤسسة المياه في مدينة حلب، بقي أحمد في المدينة حتى تهجير أهلها في كانون الأول 2016، ليخرج بعائلته المكونة من ثلاثة أطفال وزوجته ووالدته إلى إدلب، ثم إلى تركيا عن طريق التهريب، ليستقر به المقام في ولاية كيليس. «كل المعامل في المنطقة الصناعية مو لازمهم عمال، دورت بكل مكان: ورشات البناء، الدكاكين، كل محل، ما توفقت. صرلي سنة بوقف كل يوم هون، والله بيبعت رزق الولاد». يتقاضى أحمد «35–50» ليرة تركية من عمله كمياوم، وهي لا تكفي للحد الأدنى من الحياة، وإيجارات البيوت المرتفعة والفواتير التي لا تنتهي.

سعيد الطرشة من مدينة حلب قدم إلى كيليس منذ أربع سنوات قال «إن حال المدينة قد تغير، عندما أتينا إلى هنا كان الوضع أفضل، وكانت اليومية لا تتجاوز 25 ليرة، ولكنها كانت تكفي لحياة وسطية، كان سعر الدولار 1,93، واليوم تجاوز سعره 3,8، وكان إيجار البيت لا يتجاوز 250 ليرة تركية، ليصل اليوم إلى 500 ليرة على الأقل، بعد أن أصبح الحصول على شقة فارغة مهمة شبه مستحيلة، فالأسعار ارتفعت، والرواتب على حالها».

في الطريق إلى الدوار يسترعي انتباهك إعلانات ألصقت على واجهات المحلات التجارية، يلزمنا «عامل سوري لا يتجاوز عمره 15عاماً»، «مطلوب للعمل فتاة من 13– 15 سنة تجيد اللغة التركية».

يرغب معظم أرباب العمل في المدينة بتشغيل الشباب والمراهقين بأعمار صغيرة، ويعزو صاحب أحد المحلات التجارية في المدينة ذلك «إلى قدرتهم على التأقلم، واكتساب اللغة بسرعة، وتحملهم ساعات العمل الطويلة»، إذ تتجاوز ساعات العمل في المدينة في مختلف المجالات 10 ساعات، وتصل في بعض الأحيان إلى 12 ساعة، براتب لا يتجاوز 1100 ليرة تركية، ووجبة طعام واحدة، دون الحصول على ضمان صحي أو اجتماعي، فاليد العاملة السورية غير قانونية، ولا تتطلب تأميناً، ولا تخضع للحد الأدنى من الأجور المطبق من قبل الحكومة التركية.

مرت ساعات الصباح، ليُخرج أبو علي الرجل الأربعيني، وبعض من التف حوله في حديقة دوار مندرس، «أكياس الزوادة»، رائحة البصل و«مية الفرنجي»، دبس البندورة كما يطلق عليها في مدينة حلب، ملأت المكان. أكل رغيفه على عجل، ورفض أن يشرب الشاي الذي يحمله شاب صغير يعمل في «براكة مشروبات» على الدوار. نظر إلي، ثم قال «بيشربونا كاسة شاي بنص ليرة، ومندفع بالتواليت ليرة ونص لنفضيها»، ابتسم الجميع لطرفة أبو علي، الذي مسح فمه ويديه بمنديله، ثم استقام واضعاً يده في جيبه الخلفي كشاب في العشرين من العمر، علّه يحظى بعمل يسد رمق عياله.

# الفراق مرة أخرى

Jeremy Mann

فخر الجوري

لا يمكن أن تتجاهل غصة تصيبك، بينما تترك وراءك كومة من الدمار، والآلام والأحزان، وقليلاً قليلاً من الفرح، وعمراً من الذكريات والحنين.

بينما تجدع أنفك بيديك، وتغادر البلاد، تلوح لك لافتات الترحيب الضخمة باللغة التركية -لن تحبّ هذه اللافتة، على أية حال- حتى لو لم تكن تعرف قبلاً لغة هذه البلاد. وقد تتنفس بعد ذلك هواء نظيفاً، ويكبر قلبك لحظة، بينما تعد نفسك بالرجوع، فماهية الفراق أن يهيأ للقاء بعده، طالما رسخنا هذه الفكرة في أرواحنا وعقولنا. وتجد عزاء كبيراً في منفاك الجديد، بأن تجد حضن العائلة يعوض حضن الوطن، ستحب أن تكون فيلسوفاً في هذه الحالة، وتحسن اختيار المعاني والكلمات، لتعرف فرقاً هائلاً وجوهرياً بين غربة في المنفى الجديد، واغتراب داخل حدود وطنك الذي أحببت، حيث تنتظر وقت عودة التيار الكهربائي بكثير من الشغف، وآلاف التسبيحات بحمد وزارة الكهرباء الرؤوم.

هناك ستتعلم أن الدولار يتدخل في أجرة التكسي، وأسعار البضائع، وفي عدد أنفاسك اليومية. لا بد أن تتقن في أوقات الحاجة لغة التجارة والاقتصاد، وبالسخرية القدر! فلربما احتميت بمحل تاجر دم تمقته، بينما تدوي صفارات الإنذار مؤذنة بسقوط قذيفة قريباً منك، فتقتلك، أو تتركك لتمنحك ترف الوقوف على الأطلال، والطواف حول سور حديقة جميلة، تنفث دخان سجائرك لتلعن أولئك الحمقى في ذاك الحي الدمشقي الذي تقطنه، حيث تبدو علامات السعادة على وجوههم، بينما تسقط حمم جيشهم الباسل على رؤوس «الإرهابيين» في الغوطة.

ستستغرق في التفكير دقيقة لتستسلم لصواب قلبك ورجاحة عقلك، فلا وطن يجمعك مع الذئاب الواقفين على الحواجز الأمنية في دمشق، ولا مشاعر تربطك بشقة تطؤها أقدام المجرمين من الطائفة «الكريمة» عند تمام الخوف، عند السابعة صباحاً، باحثين عن «المخربين» دورياً. ستجهش بالكراهية والحزن، بينما تعلن أمام نفسك أن لا قداسة لدمشق بصورتها الحالية في نفسك، عن أي ياسمين دمشقي يتحدث أولئك المعتوهون! وستكره الياسمين الدمشقي أكثر إذا علمت أن «السيدة الأولى» صارت تلقب بسيدة الياسمين. لقد أسلمت دمشق قيادها لوحوش يقودونها إلى الجحيم كيفما شاؤوا.

لكنك الآن هنا غريب، تحاول البحث عن نفسك، أياً كان سبب وجودك هنا، ومهما أنزلت لعناتك على المؤيدين وكل الرماديين والعلمانيين الذين أغمضوا أعينهم عن حريتهم «المقدسة»، عند أول تهديد بالاعتقال تعرضوا له، أنت هنا بغض النظر عن عمائم السوء، وشيوخ الدجل واللحى اللاصقة، وجنود الخلافة الاسلامية وخليفتهم المعتوه. أنت هنا، ولا قيمة لأسبابك الشخصية في وجودك هنا، فهنا ستهرب من جحيم التجنيد الإجباري، ودوريات السحب الاحتياطي، وهنا ستكون بمأمن من قذائف الحرب في بلادك، وهنا لن تضطر إلى اختراع الروايات لأطفالك الصغار عن ماهية الأصوات المرعبة التي تقض مضاجعهم كل ليلة.. هنا سيعاود الحلم زيارة أطفالك، وسيكون بإمكانهم انتظار زيارة بابا نويل. كل ذلك لن يغنيك عن الدوران في ذات الدوامة كل ليلة.

ستسأل نفسك أسئلة كثيرة عن معنى حزنك الدائم في الشوارع الطويلة الجميلة في المنفى الجديد، وستحب تعذيب نفسك ولومها، حين تقرر الخروج في نزهة مع أصحابك. لا يحق لك العيش هنا، بينما يموت الناس هناك. عار عليك أن تتوسد الإسفنج المضغوط هنا، وتلتحف الديباج، بينما يقضي أحبابك شتاءهم مفترشين الأرض، ملتحفين السماء. أية قسوة في قلبك تجعلك تتلذذ بالطعام في المطاعم الفاخرة، بينما يتضور أبناء جلدتك جوعاً في العراء. ستبكي مراراً، وتنتحب، وتغط في حزن عميق، فالهواجس بحر يحاصرك من كل جانب، ولن تجد إلا ظلالك المكسورة، تطل من جهاتك الأربعة؛ تذكرك بجدران السجن الباردة، التي يخط عليها المعتقلون وصاياهم الأخيرة، وترسم لك مخطط قبور أحبابك، في الحدائق المعلقة بين أحلامك؛ وبالميادين التي تضج بصيحات الأحرار الذين ثاروا حتى الثمالة، وهز كيانهم أن سمعوا هتافاً بأصواتهم، لأول مرة في العمر؛ وستذكرك بالوطن، الوطن الذي تعرفه أنت، كما لا يعرفه الكثيرون، الوطن الذي يعني دمشق التي تحب، كمساحة من الروح مترامية الأحزان على امتداد قلبك ونبضك، على امتداد هذه الرقعة الجغرافية من جهاتها الأربعة، وليس دمشق التي أرادوها.

ستعود بذاكرتك إلى غصة لافتة الترحيب التركية، لتغير شيئاً ما في الرواية. ستبدأ من جديد: أيتها الأميرة المقيمة بين الثنايا، يا سيدة النعيم والجحيم، أيتها الجاذبة النابذة، يا ملتقى الأضداد، يامن احتضنت الغرباء ولفظت أولادك: وداعا يتلوه اللقاء.

# دواعش ليسوا بدواعش كاملين

علي خطاب

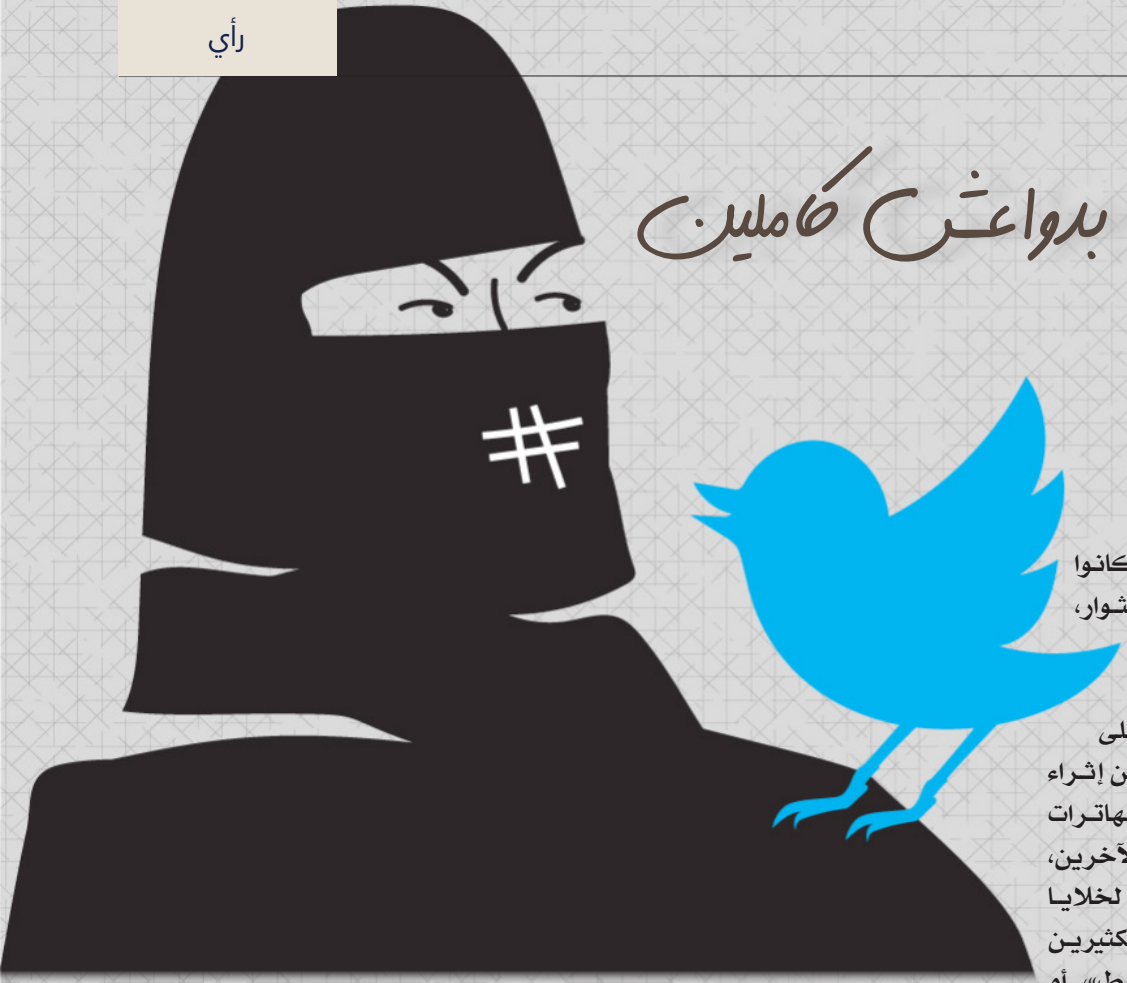

يعودون الآن إلى مواقع كانوا قد شغلوها يوما بين صفوف الثوار، والناشطين على كافة الأصعدة، والوجوه الاجتماعية. وربما احتلوا مواقع لم يكونوا يشغلونها، اعتماداً على وجاهة جديدة، تحصلوا عليها من إثراء طارىء، أو حيازة مفاتيح حسم مهاترات مرضية، حول الحدود والأمجاد والآخرين، أو تلويح صامت بعودات مفاجئة لخلايا تنظيم الدولة الإسلامية يدفع الكثيرين للصمت، والتزام «الحيط الحيط»، أو الصراخ الطفولي للتحريض عليهم، دونما طائل. هم في النهاية ليسوا دواعش مبايعين، لكنهم مستفيدون منهم، إن كان اسمهم أبواق، أو مسيحة جوخ، أو متزلقين.

ستستمر الأحاديث التي تتناولهم طويلاً، في الجلسات واللقاءات العامة والخاصة، لكن أحدهم لن يرف له جفن حيال ذلك، فبالطبع كل واحد منهم يملك قصته مع الثورة، ومنغصاتها ولصوصها ومتسلقيها، وتحكم الدول بقرارات كياناتها، وسلسلة طويلة من الخيانات، السرقات، الخلافات... وقصته كذلك مع داعش، ونيتها ممارسة القتل بشكل أفظع، وخنق الناس أكثر؛ وعندها سيروي لأقرانه، ولكل من يتهمه بالدعشنة، كيف جابههم، وانتقدهم، وعراهم، وكشف كذبهم، وحامى عن الناس. ليحجز كل واحد من أولئك الأبواق السابقين مهمته التي أنقذ بها حيوات الكثيرين، ويقتطع سياق الأحداث الذي يرى إلى الأمور به، متوسلاً عبره صفحاً اجتماعياً، فليس هناك سلطة حاسبتهم، أو ستحاسبهم، طالما أنهم لم يكونوا مبايعين. هم أذكى، أو أجبن من ذلك.

لكل منهم تبريراته، وظروفه الخاصة، التي دفعته لشغل تلك المنطقة الرمادية الواقعة بين تنظيم الدولة الإسلامية، متمثلاً بكل أجهزته في مجالها العام الذي اصطنعته وفرضته فرضاً؛ والمجال العام الذي صنعه واقع حال الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، قبل أن يصبح كل ذلك حكراً على التنظيم، وينفذ من هناك كل أمل في أن يتركه العالم وشأنه. إذن فليبدأ المطبلون، المغامرون، الانتهازيون، المتملقون... وكل من لم تسعفه شجاعته في الانتماء للتنظيم علناً، والمراهنة بالحياة على بقائه؛ فليبدأ كل هؤلاء بالانسحاب أو الهروب. الدائرة لم تتسع إلا لبضعة أشهر، ثم صارت تضيق على هؤلاء، الذين اختزلهم المزاج الأهلي بالجبن، قياساً لشجاعة من بايع التنظيم، أو من بقي يقاتل معه فيما بعد.

بقي الكثير منهم في أوساط متنوعة، يشغلون فيها بعبعاً محلياً خشيه الأهالي، أكثر من خشيتهم من العناصر المبايعين، هؤلاء واضحون، هناك وصفات للتعامل معهم، استقر وضعهم كعناصر خارجية على التجمعات الأهلية، انتقل الحذر الجماعي من مخبري أفرع الأمن إليهم، اعتاد الناس التمثيل في حياتهم التي يشاركونهم إياها؛ أما هؤلاء فمن الصعب التعامل معهم، هناك دائماً الخطوة التي تفصلهم عن التنظيم توحي بالأريحية، ولكن إغضابهم قد يأتي بعواقب وخيمة، طالما كلمتهم مسموعة لدى العناصر والأمراء والقضاة... كل من مكانه، في الخطابة شوهدوا يبكون من حبهم لـ(الدولة)، أو في الخدمات العامة حين كانوا أدلاءها على الأملاك العامة والخاصة التي غادرها أهلها إلى «بلاد الكفر»، أو في الإعلام بمعداتهم التي أعاروها للمراكز الإعلامية، أو في التجارة والصناعة، أو المهام الاجتماعية في النصح وإصلاح ذات البين.. ما مكنهم يوماً من الحط من خصومهم، أو إلغائهم رمزياً في الأوساط الأهلية المتنوعة. لا يحتاج الأمر إلى نوايا سيئة، كانوا يصمتون عن الصفات الاعتبارية، والمراكز التي يلصقها الأهالي بهم، ولا يبذلون جهداً لتصحيحها.

أُعتقل بعضهم لدى هذا الفصيل أو ذاك، فيخرج دون أن يتقدم أحد بشهادة تدينه، طالما أن أحداً لم يشاهد بعينه. هذا هو الفارق بين التنظيم الذي دافع عنه مسيحة الجوخ فوجد الكثيرين من المستعدين لتقديم الشهادات والإدانات، والمساعدة على الذبح والسحل؛ والفصائل التي تعتقلهم، فالجميع في هذه الحالة يخاف من (الدم)، إذن فليطلق سراحهم، وليعودوا لتصديع رؤوس الجميع بالخلل الذي سيكتشفونه في مسارات الثورة ومآلاتها، وليعودوا للمجادلة فيها، باستعداد دائم للانجذاب لكل متوحش يفرض على الناس سلطة، ويضع خلافاتهم واختلافاتهم تحت عباءته، ويجد فيهم مستعدين كثر لشغل مناطق رمادية يتركها، أو الانتفاع من فضلاته.

# النسوية الديرية

## من الحبابة إلى العباية الحبر فالجلباب

سهيل نظام الدين

لوحة عباءة الحبر - للفنان أسعد فرزات

كان القرار الأصلي أن تكتب هذه المادة الصحفية بلغة أميل للتعبير عن حنين رومانسي، وتقديم شاعري، غير أنّ التفكير في موضوعها من زاوية أنّه صورة لواقع منقرض يستحق الرثاء تبدو استسلاماً لنهاية لم تحدث بعد، ولأنّه من جهة ثانية -وأكثر أهمية- موضوع يستحق دراسة منهجية تبحث في فعله وأثر وجوده، وعسى أن تكون هذه المقالة حافزاً يدفع أحد المهتمين القادرين على فعلها.

دير الزور أشبه بجزيرة اجتماعية، حين يتعلق الأمر بوصف التعالقات الثقافية مع محيطها، وهذا لا يعني بالطبع تمييزاً فوقياً أو طبقيا، بل هو في تشخيص أوضح تمايز ذو جذر اقتصادي - مدني، يرتبط تأسيساً بطبيعة الحياة في المدينة التي اعتادت سلوك العاصمة الإقليمية، مع أنّها أحدث من قريناتها التي تمارس نفوذها في محيطها. ثمّة طابع سيتضح بسرعة لأيّ مراقب خارجي كان سيدخل دير الزور قبل دمارها المادي في سنوات الحرب -وربما تداعيها الاجتماعي قبل ذلك بسنوات طويلة- وهو أنّ النسوية، كفعل مؤثر في توجيه يوميات الحياة العامة، تتمتع بحضور قوي، ولا أقصد فقط ذاك الحضور المألوف في القصّ الاجتماعي، والتراث المحدث لسير التندر الشائعة حول الجلسات والنميمة وإدارة شبكة الخطوبة والزواج -وهو أمر حادث بكل حال في دير الزور، شأنها شأن أيّ مدينة أخرى- إنّما هو أثر يتعدى الحضور المتاح تقليديا، لتصبح النسوية في المدينة أشبه بتقليد غير معلن، يهيمن ويدير تطور التربية والقيم، ويحدد معايير التقييم الطبقي والجمالي، وأحياناً يكون مؤثراً بصورة خفيّة على حركية اقتصاد الرجال أنفسهم.

ويقتضي التنويه هنا أنّ تعبير (النسوية)، الذي يرد في غير موضع، لايشير إلى حركة تمرد اجتماعية وثقافية كتلك التي حدثت في الغرب، لكنّه أقرب ما يعبر عن استقلالية المرأة في المدينة، وهو واقع يعرفه ويقر به أبناء الدير، وهي استقلالية لا تحمل طابعاً خصامياً مع هيمنة الذكورة المعتادة في الدير، كما غيرها من مدن الشرق الأوسط، والواقع أنّ الهيئة الفعلية لهذه الحالة تقوم على أنّ المجتمع النسائي في الدير يمتلك بنية حياة متماسكة ومتشابكة ومؤثرة على هيمنة الرجال.

هناك ثلاثة أجيال لها طابعها الخاص والمتفرد من النساء مرت على دير الزور، إذا أمكن التصنيف على قاعدة تأثير الواقع السياسي والاقتصادي على المجتمع المديني. الجيل الأول يوشك على الاختفاء، إن لم يكن قد اختفى فعليا. إنّهن العجائز اللاتي ولدن على تخوم الدولة السورية الأولى، وشهدن جزءاً من الاستقلال وقبله الانتداب الفرنسي، وهنّ من حكمن القيم التربوية والاجتماعية لعقود طويلة، وأسّسن لعادات لم تزل فاعلة في بعض وجوهها حتى يومنا، وفي نهايات حضورهن الطاغي قرابة ثمانيات القرن العشرين انكفأ دورهن إلى حضور شبه صوفي في الحياة اليومية، كحاملات لقيمة الخير المفقود، أو كشاهدات على زمن طحنته التبدلات الاقتصادية الخارجة عن السيطرة. في ذلك الوقت، كان هذا الجيل يراقب تبدل الحال، والفروق الهائلة في التعبير (النسوي) بين بناتهن -الجيل الثاني- الذي كان لهن عليه سلطة مباشرة، وبين حفيداتهن اللاتي يصارعن في معارك لم تكن الجدّات تعرفن لها سببا، أو حتى ضرورة.

«الحبابات» كما يعرفهن الجميع، أو «البنيّات» كما يصفن بعضهن البعض، كنّ يخضن عبر المراقبة والعزوف -كتعبير عن رسالات ذاتية، تقارب العلاقة مع الحياة على أنّها علاقة مع الله- آخر اشتباك مع الواقع اليومي، ومع تبدد صورة النسوية المستقلة، بتبدل ضرورات حياة الرجال؛ الذين باتوا بدورهم يخضعون لشروط سلطة مركبة وقامعة إلى الحدود القصوى، والتي كان من المستحيل على الجيل الثالث من نساء المدينة أن يقاومن أثرها عليهن أولاً، وانعكاسها على رجال جيلهن لاحقا. ومع أنّ جيل النسوة الأول كان جيلاً محافظا، يغلب عليه طابع التدين البسيط، وظل يحتفظ طويلاً بمفاهيم التراتبية العثمانية للمجتمع،

التي علمن أنّها كانت قبل «الشنّاق»، وهو الاسم الرمزي لجمال باشا السفّاح. ومع تمسكهن بالانتماء العشائري لتركيب مجتمع دير الزور، فقد قبلن وعايشن بسهولة تحولات بناتهن في الجيل الثاني نحو أنماط أكثر انفتاحاً واندماجاً في عقل النصف الثاني من القرن العشرين، وصولاً إلى نهايات الثمانينات، حيث تغير كل شيء بقسوة مفرطة. وسيحيلنا هذا نحو مركز النسوية الديرية، الجيل الثاني من نساء الدير، كان قوياً جداً وذا حضور طاغٍ في مسار الحياة العامة للمدينة.

لم تكن دير الزور يوماً مدينة ثرية بالمعنى التجاري للثراء، ومع أنّها، وريفها الشاسع، تملك وفق المعايير الجيوسياسية مقومات دولة كاملة -في الواقع كان ثمة مشروع بدئي لحكم ذاتي في أوائل القرن العشرين لم يعمر طويلاً- إلّا أنّها كانت تتصرف دوماً كمجتمع صانع لهوية مستقلة، ولعل هذا مركز مشاكل الدير مع أنظمة البعث.

في هذا الفقر المتغطرس ظهر جيل «الامّهات» وهن والدات كل تمرد وانحياز وتماه شهدته الدير مع الدولة السورية، خصوصاً بعد الوحدة مع مصر وانقلاب البعث التأسيسي في 1963. وكي يكون القول منصفاً، فإنّ أحد أهم أسباب ظهور هذا الجيل المتمايز هو أنّ رجال الجيل الأول دعموا بقوة تعليم بناتهن، وتقبلوا برحابة تحول أنماط المعيشة التي فرضتها هذه المبدئية المغامرة، ومع وجوب الإقرار أنّ هذا لم يكن يعني انتفاء وجود نسوة مقهورات، عشن تحت شروط عقليات عتيقة ترفض الاعتراف بالتغيير، إلّا أنّ النسبة المنفتحة، التي نحت نحو تكريس مدينية مستقرة، كانت كافية لخلق ما يمكن وصفه بـ«أنتلجنسيا نسائية» في ديرالزور، ساهمت بدورها في تحويل ذهنيات الأجيال اللاحقة عبر التعليم، وعبر صورة مستقرة للمرأة مفرطة الأناقة، وتبديل هيئات الرجال أنفسهم، وتحويل صورة البيت الديري الكلاسيكي من بيت «حبابة» إلى منطق بيوت أسر عاملة. وحتى في مظهرهن، كانت نسوة الجيل الثاني يمثلن حلقة ربط بين حشمة عباءات الحبر -حرير ثقيل أسود- الباذخة بمعايير ذاك الوقت، وبين ما تحتها من أزياء ذات طابع غربي يلاحق خطوط الموضة، عبر ما كان يتسرب من مجلات أزياء فرنسية وإنكليزية، حتى أنّ الخيّاطة صارت جزءاً أساسياً من مجموعات الصداقة النسائية في تلك الآونة، كما أنّ نسبة انتشار الحجاب في أوساط المتعلمات كانت منخفضة بشكل واضح.

تمركز الجيل الثاني عملياً حول ذات القضايا القومية والاقتصادية التي هيمنت في مرحلة نشاطه العملي، ومع أنّهن كن بنات آباء يؤمنون بالدولة -غير المالكة لوسائل الإنتاج- فقد انسقن مع رجال وقتهن نحو توجهات قومية واشتراكية، مالبثت أن دمرت البنية الأساسية للمدينية، وتحولت مع انغلاق فكري وثقافي وطني، وابتزاز شعائري بقضايا «المعركة المصيرية» إلى منظومة قمع وحشية، أكلت أرواح أولادهن، بل وحوّلت بعضهن إلى أخيلة لجيل فقد سلطته على تحولات نهايته. بين الستينات وأواسط الثمانينات كانت (النسوية) الديرية في أقوى ظهوراتها على مستوى تشكيل هوية ووجه المدينة، وهي حتى، وإن كانت في معناها تغاير التعريف المعتاد لانقلاب فكري مؤنث على ذكورة المجتمع والسلطة، فقد كانت ثورة اجتماعية مدعومة بقوة جيل السطوة (المالك) من الرجال.

الواقع أنّ هوية المدينية الديرية لطالما تشكلت عبر علاقات أجيال متعاقبة ومتباينة -الآباء مع البنات والأمهات مع الأبناء- وهذا ما سيفسر إلى حد ما التحول الأخير الذي طرأ مع بداية التسعينات، واستمر حتى قيام الثورة.

في الطور الأخير لهذه النسوية تدخّل الفقر -أو بدقة أكبر الإفقار- بقسوة في حياة الناس، وعلى إثر سنوات الاعتقالات والاختفاءات التي تبعت انتفاضة الإخوان المسلمين ضد نظام حافظ الأسد، وبوجود الحصار الدولي على سوريا، انهارت دفاعات المجتمع إزاء تدخلات رعاها النظام نفسه لتسريب الطاقة السلبية نحو مسارات أكثر أمناً.

والحق، أنّ الجيل الثالث من النساء تعرض إلى اعتداء ممنهج على معاييره الأنثوية للعالم، إذ بينما كانت أمهاتهن تحصلن في شبابهن على حماية أبوية، وتشهدن تحولاً ثقافياً يدفع نحو تعزيز الحضور الأنثوي بالتعليم والأناقة، وتعلم بروتوكولات الحياة العصرية، فإنّ بنات الجيل الثالث عوملن كأنهن جنديات في فرق عسكرية، وكان من الصعب على أي أحد أن يحميهن من سطوة مدربات الفتوة والتربية العسكرية، ولبس الكاكي الميداني المقرف، والتعرض لعقوبات جسدية مشتقة من تدريب القوات الخاصة، أضف إلى ذلك انهيار قيمة العلم، وتلاشي الفرق في الجدوى بين التفوق الدراسي وعدمه، حين نزلت المظليات من الطائرات العسكرية إلى قاعات الجامعات. إنهن بنات مجتمع فقد رؤيته لنفسه، وغرق في فساد حكومي و اقتصادي ومالي قوّض كل أحلامهن، كما أحلام مجايليهن من الذكور، لكنّ هذا يجب ألا يكون سبباً لتعجل الاستنتاج بأنهن -وبأنهم- جيل مهزوم، فهم في الحقيقة من قام بالثورة، ومنهم غالبية شهدائها.

جيل النسوية الثالثة هذا جيل بارع، تعلّم مبكراً السير على «شفرة ادعاء الحياد واللامبالاة»، وتلقّى علوم التملص من مزالق التعبير التي قد يحضرها عنصر مخابرات سيحولها إلى نهاية حالكة في أحد المعتقلات، لكنّه جيل اضطر لمقارنة ظالمة بين ماضي الأمهات، كما تبدو صورهن بالأبيض والأسود، وبين حاضر تقود وعيه وسلوكه معلمات التيارات الدينية الصاعدة. هن الجيل الذي شهد اندفاع البلاد نحو عقلية تمجيد الفقر والعبثية كتربية تحيل مشاكل الناس اليومية المزمنة والمتراكمة إلى ظواهر غير مفهومة، وغير قابلة للفهم وللتفسير، لكن يمكن الإفلات من شرورها ولو نفسياً باللجوء إلى التدين. مظهرياً كان هذا وقت انسحاب العباءات لصالح الجلباب، ووقت تحول «الأنتلجنسيا المؤنثة» بسطوتها الاجتماعية إلى سباق محموم على درجات الثانوية العامة لضمان مقعد في جامعة تدخلها «خليفات مدربات الفتوة» بفارق 45 درجة أقل.

ثورة النسوية الثالثة في دير الزور -وغيرها حقّاً من مدن في سوريا- لم تكن نسخة من تحوّل صورة الفارس التي شهدتها أمهاتهن انطلاقاً من الأب (المالك) إلى المثقف القومي اليساري، وهي علاقة إيجابية من اتجاهها نحو طرفي التعبير الذكوري. ثورة النسوية الثالثة كانت تحوّلاً من علاقة تعايش مع جحيم النسخة الرجولية لمدربة التربية العسكرية، في شخص عنصر أمن أو مسؤول مدني لص مدعوم من جهة أمنية، إلى علاقة تحدّ لهذا الواقع، بدعم شبّان مقهورين تحولوا لاحقاً إلى ما بتنا نعرفه باسم...«الجيش السوري الحر».

# هُزمت «الدولة الإسلامية» لكن أقربائنا المخطوفين ما زالوا مفقودين

حايد حايد
موقع The Middle East Eye
6 كانون الأول
ترجمة مأمون حلبي

ما زال مصير آلاف المعتقلين لدى تنظيم «الدولة الإسلامية» غير واضح، حتى بعد أن هُزمت هذه الجماعة.

في شهر آب 2013 اختطف تنظيم «الدولة الإسلامية» ابنة عمتي سمر صالح، البالغة 29 عاماً من العمر. منذ ذلك الوقت وأنا أنتظر اليوم الذي يتم فيه تحرير سجون التنظيم. الاستيلاء الذي حصل مؤخرا على آخر معاقل التنظيم في الرقة ودير الزور جعل حلمي يتحقق. مع ذلك، مصير ابنة عمتي وآلاف من المعتقلين الآخرين بقي غير واضح. الشعور بالفرح والارتياح لسحق التنظيم، هذا الشعور الذي طال انتظاره، غطت عليه عواطف مختلفة من الفراغ والقلق. أين هي؟ ما الذي جرى لها؟ هل ما زال ثمة أمل برؤيتها؟ لم تُقدم أية أجوبة تريح بالي.

## إجراءات قسرية

اختُطفت ابنة عمتي مع صديقها محمد العمر بدايةً في مدينة الأتارب، مسقط رأسي، الواقعة في ريف حلب. فتشنا عنها لشهور، لكن قيل لنا أخيراً أنها نُقلت إلى الرقة بعد هزيمة التنظيم في شمال سوريا في كانون الثاني 2014. استُهدفت سمر، شأن الكثيرين من الناشطين الميدانيين الذين يرسلون تقارير عن انتهاكات حقوق الإنسان وانتهاكات بحق وسائل الإعلام، بسبب وجودها في مناطق يعمل التنظيم فيها.

معروف عن التنظيم استخدامه إجراءات عنيفة وقسرية لبث الخوف في أولئك الذين يعارضون أفعاله أو يشككون بها، ولكي يبقي السكان المحليين تحت السيطرة. ويعامل التنظيم سجناءه بطرق تختلف باختلاف التهم الموجهة إليهم. أما المناوئون له فالتنظيم ينكر أسرهم، ويبقيهم في مراكز اعتقال سرية. بعض السجناء تم عرضهم أمام محكمة التنظيم في مرحلة لاحقة، في حين يبقى مصير البقية غير واضح. بناءً على ما تقدم، يبقى العدد الدقيق للمعتقلين على يد التنظيم غير واضح. لكن، وفقاً لمنظمة سورية محلية لحقوق الإنسان، اعتقل التنظيم حوالي 6318 شخصاً حتى أيلول 2014. لكن العدد تضخم لاحقاً بعد الإعلان عن الخلافة المزعومة.

استعادة الرقة ودير الزور -اللتين قيل أن التنظيم أقام فيهما 46 مركز اعتقال- لم تثمر عن إيجاد أي سجناء. في 18 تشرين الأول أفاد طلال سلو، المتحدث السابق باسم (قسد) لموقع إخباري محلي، أن كل السجون التي عثروا عليها كانت فارغة. لكن مع ذلك، اتفاق الإخلاء الذي أدى لاستعادة (قسد) للرقة قد يلقي ضوءاً على مصير بعض المعتقلين. فبعد 4 شهور من القتال في الرقة قام قادة عشائريون محليون بإبرام اتفاق بين (قسد) والتنظيم. كان الهدف من ذلك إنقاذ المدنيين المحتجزين في المدينة من قِبل التنظيم، حيث كانوا يُستخدمون كدروع بشرية، وتوفير مزيدا من الدمار على المدينة. وقد سمح الاتفاق لمقاتلي التنظيم بالخروج من محافظة الرقة مقابل الانسحاب من المدينة. بقيت تفاصيل الاتفاق سرية إلى أن استطاعت شبكة ال بي. بي .سي. الكشف عنها. حوالي 4000 شخص، من بينهم نساء وأطفال، تم نقلهم إلى أراضٍ تحت سيطرة التنظيم في دير الزور. بناء على ضوء تحقيق الـ بي.بي.سي.، اعترف التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة أن 250 من مقاتلي التنظيم سُمح لهم بمغادرة الرقة مع 3500 فرد من عائلاتهم. مصدر كردي مطلع ناقض هذا التصريح «بعض المعتقلين نقلهم التنظيم مع مقاتليه إلى دير الزور ليتم استخدامهم كدروع بشرية».

مع ذلك، يوحي عدد الذين تم إخلاؤهم أنه ليس كل المعتقلين ما زالوا أحياء. ولمّح نفس المصدر إلى وجود احتمال كبير أن كثيرين من المعتقلين ربما قد واجهوا إعدامات ميدانية. «عندما ينسحب التنظيم من منطقة معينة يتخلص عادة من الرهائن الذين لا يعتبرون ذوي قيمة. الأجانب والناشطين البارزين والنساء يعتبرون نافعين . أما الجنود الخصوم أو المعتقلين الذكور العاديين فإنهم يصبحون عبئاً». لكن مستوى الدمار الكبير في المدينة يجعل من الصعب العثور على قبور جماعية.

برغم التحديات الواضحة، ما زال بوسع (قسد) أن تعمل على الكشف عن مصير بعض المعتقلين لكي تهدئ شكوك عائلاتهم. فمن المعروف عن التنظيم احتفاظه بتوثيق شامل لكل أعماله، خصوصا السجناء الذين مَثلوا أمام محاكمه. وجدت وثائق كهذه في إحدى مراكز الاعتقال في الموصل. كانت الوثائق بأسماء وتفاصيل تخص بعض السجناء. لكن (قسد) لم تذكر إن كانت السلطات المحلية قد استطاعت العثور على أية وثائق تتعلق بمصير المعتقلين. أيضاً يقدم التحقيق مع أفراد التنظيم الأسرى، خصوصاً أولئك المسؤولين عن السجون، مصدر معلومات بالغ الأهمية. كذلك يمكن استخدام تفحص الكتابات والرسوم على جدران زنازين التنظيم للتحقق من مصير بعض السجناء. لكن إن لم يكن لدى (قسد) الإرادة أو الموارد للكشف عن مصير آلاف المعتقلين، حينها يجب أن يُسمح لمنظمات حقوقية مستقلة بالتحقيق حول ما حدث لأحبتنا المفقودين.

بروين إبراهيم

مجد نيازي

# بروين إبراهيم ومجد نيازي وحزباهما «المعارضان»

مسلية كانت متابعة السيدة مجد نيازي، الأمينة العامة لحزب (سورية الوطن)، عبر بث مباشر على صفحتها الشخصية في موقع فيسبوك من سيارتها المنطلقة نحو طرطوس، برفقة السيدة بروين إبراهيم، وهي أمينة عامة أيضاً لحزب آخر اسمه (الشباب الوطني للعدالة والتنمية).

بدت الأمينتان العامتان، وتابعتاهما الحزبيتان في المقعد الخلفي، في حالة بسط بالسرعة الزائدة، والأغاني التي يصدح بها مكبر الصوت، وبالطريق من دمشق إلى طرطوس، حيث ستفتتح إبراهيم فرعاً رسمياً لحزبها، سيحضره ضيوف شرفيون من فرع البعث، وأفرغ المخابرات وقادة الميليشيات أيضاً بطرطوس.

بعد أيام على رحلة طرطوس الساحلية تشاركت السيدتان مجدداً بأوقات سعيدة، خلال عشاء احتفالي أقامته إبراهيم بمناسبة فوز فريقها الكروي المفضل (الجهاد)، وفي كلمة ألقتها رحبت بزميلتها نيازي أمينة (سوريا الوطن) الحليف، ووعدت بأن يكون الحزبان «داعمين للشباب والرياضيين».

قد تكون يوميات المرأتين الخمسينيتين -تقريباً- مضللة بعض الشيء، فليست حياتهما سهر ومساحيق وجه وصباغ شعر ولهو فحسب، بل سياسة أيضاً، من منطلق تصنيف نفسيهما وحزبيهما في خانة المعارضة، وإن كانت مختلفة عن تلك الخشنة التي تريد إسقاط النظام، وحل مخابراته، وإعادة هيكلة جيشه.

في إطلالاتهما على تلفزيونات النظام، بين حين وآخر، تشرح المرأتان أهدافهما السياسية المتمثلة ببقاء بشار الأسد رئيساً لسورية بكامل صلاحياته الحالية، وإلى الأبد، ولأنهما معارضتان فلا بد من ملامة، ومن موقع المحب، لشقيقهما الأكبر حزب البعث. ولا بد أيضاً من اتهام مسؤولين، صغار بالعادة، ودون تسميتهم، بالفساد. وتشكل المنشورات المكتوبة والمصورة على الصفحة الشخصية لكل منهما منطلقات نظرية، وأدبيات للحزبين الصديقين، اللذين تأسسا بعد الثورة، إلى جانب ثمانية أحزاب أخرى، بموجب ترخيص من هيئة شكلتها إدارة أمن الدولة اسمها لجنة الأحزاب.

خلال السنوات الماضية كانت السيدتان بطلات سفيهات في أكثر من مقطع مصور تناقلته الصفحات، تساجلان «سياسيين» آخرين، و«سياسيات» من الفضاء ذاته، وتشكوان التمييز ضدهما لصالح حزب البعث، بالرغم من حاجتهما الماسة إليه في كل «استحقاق حزبي» داخلي لهما، إذ يمدهما البعث -استعارة- بما يلزم من أشخاص يشغلون المقاعد، ويصوتون لتأمين النصاب العددي المطلوب لكل «استحقاق».

قبل الثورة كانت بروين إبراهيم مراسلة لجريدة كويتية، إلى جانب أعمالها في العقارات، مستفيدة من تسهيلات خاصة منحت لها، لتؤسس جمعية سكنية قرب حي مشروع دمر الضاحية الراقية غرب دمشق، وخلف نشاطها كمراسلة وسمسارة عقارات، نجحت إبراهيم بالتقرب من علي مملوك رئيس إدارة أمن الدولة الذي كلفها بمهمات عدة، كان أشهرها خداع عدد من قادة الأحزاب الكردية في محافظة الحسكة، وجلبهم دفعة واحدة إلى دمشق للقاء بشار الأسد، غير أنهم لم يلتقوه، بل التقى بهم مملوك، ووعدهم كذباً بتنازلات صغيرة من طرف النظام، مقابل تنازلات مماثلة أجبروا عليها تحت التهديد.

وأما نيازي، التي كانت، وما زالت، تعرف عن نفسها كفنانة تشكيلية، فكانت تمضي جل وقتها في مطعمها (أوكسجين) بدمشق القديمة، قبل أن تكون بطلة حادثة وقحة طردت فيها السفير الأمريكي آنذاك من المطعم، وبالطبع كان ذلك بإيعاز من المخابرات.

تتطلع المرأتان اليوم للمشاركة في مؤتمر الحوار بمنتجع سوتشي.. تطلع منطقي بلا شك لمؤتمر يعقده الروس.

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

SNP

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina
/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

**دوما** - عدسة سامر بويضاني - وكالة قمرة - خاص عين المدينة

**حلب ٢٠١٤** - عدسة جواد قربي - وكالة قمرة - خاص عين المدينة